أحكام الشعراء على أشعارهم وأشعار أهليهم حتى نهاية العصر الأموي

تأليف

الدكتور / محمد محمد محمود الغرباوي

أستاذ الأدب والنقد المشارك

في جامعة الأزهر – مصـــــر

وجامعة الملك خالد – السعودية

الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أعرف الناس بالفن هم أصحابه ، والشعراء أعرف الناس بخبايا فنهم ،فهم أصحاب شعور رقيق ، وحس مرهف ،وهم عندما يقومون أشعارهم أو أشعار بعض أهليهم فإنهم يقومونها بصدق ،ويصفون ما بها من اعوجاج راجين لها الاستقامة والجودة .

وقد نظر الشعراء في أشعارهم وأشعار أهليهم منذ كان الشعر ، فلمحوا فيه في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام لمحات سريعة تتفق والنقد الذوقي ،والنظرة العجلى التي لا تعلل ولا تحدد مواطن الجودة أو أسباب الرداءة ،وإن عرف بعضهم مكامن الخطأ فنبه عليه، ورجع صاحب الخطأ عن خطئه .

ولما استقر الأمر في العصر الأموي ،اتسعت مدارك الشعراء باتساع مدارك العصر ذاته ،فانقسم النقد ــ ومعه نقد الشعراء ــ قسمين:

قسم يجنح نحو الأخلاق في النقد اللفظي والمعنوي ،وقسم يميل للنقد الفني الذي لا يلوي علي شيء سواه ،ولا يهمه من الشعر سوي روعته وجودته مهما حمل من أفكار ،وحمل لواء هذا الاتجاه الشاعر ابن أبي عتيق ومن لف لفه .

وخاض الشعراء في العصر الأموي في عدة قضايا كالنظر للبيت الشعري وموقعه من البيات الأخرى في القصيدة الواحدة ــ وتلك نظرة

متقدمة نحو الوحدة الموضوعية ــ وإصابة المعني ودقته فــي الوصــف أو المديح وعدم التناقض بينهما . كما أنهم خاضوا في قضــية الصـــدق والكذب ،واختلفت آراؤهم في تحديد أحسن الشعر ــ وإن غلــب علــيهم أصدقه ــ ، وخاضوا كذلك في قضية الســرقة الشــعرية ، وعرفوهــا وأشاروا لبعض ما سرق منهم ، وألحقوا بهــا الحــديث عــن المرافــدة والغصب والإغارة ، ورأينا بعضهم – كالفرزدق – يغير ويغتصب مــن الشعراء بعض أشعارهم مهددا إياهم بالهجاء الموجع ، والقذف الفاحش ؛ مما يجعل الشعراء يذعنون له – غير راضين – ويتنازلون عــن جيــد أقوالهم .

ولعلنا بهذه الصفحات نكون قد قدمنا صــورة واضــحة لأحكــام الشعراء علي أشعارهم وأشعار أهليهم خلال تلك الفترة المدروسة ، وآمل إن شاء الله أن أتمم دراسة هذه الأحكام في الأيــام المقبلــة إن شـــاء الله تعالي ،

والله الموفق ، وهو الهادي إلي سواء السبيل .

د. محمــــد محمــــد الغربـــاوي

أبها – السعودية

١٤٢٧ هـــ ٢٠٠٦ م

الفصل الأول
في النقد والنقاد

المبحث الأول

تاريخ النقد ومجالاته

النقد الأدبي في اللغة والاصطلاح .

دارت كلمة « النقد » ومادتها في معاجم اللغة حول عدة معان ، أهمها : الاختبار والتمييز ،اختلاس النظر نحو الشيء ، العيب والإيلام ، الإعطاء ، المناقشة .

- ففي مختار الصحاح : نقده الدراهم ونقد له الدراهم أي : أعطاه إياها ، فانتقدها أي : قبضها . ونقد الدراهم وانتقدها : أخرج منها الزيف وبابهما « نصر » . وناقده : ناقشه في الأمر [١] .
- وفي لسان العرب : الانتقاد ، والنقد ، والتنقاد : تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها ، وأنشد سيبويه :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة   نفي الدنانير تنقاد الصياريف

ومنها : العيب ، إذ جاء في حديث أبي الدرداء أنه قال :« إن نقدت الناس نقدوك ، وإن تركتهم تركوك » أي : إن عبتهم عابوك [٢] .

- وفي المعجم الوسيط : نقد الشيء نقدا : نقره ليختبره ، أو ليميز جيده من رديئه . يقال : نقد الطائر الفخ ، ونقدت رأسه بإصبعي.

---

(١) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي – (نقد) – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٦هـ =١٩٩٦م .

(٢) لسان العرب (نقد) – طبعة دار المعارف بمصر (ب.ت) .

ونقد الدراهم وغيرها نقدا ، وتنقادا : ميز جيدها من رديئها . ويقال : نقد النثر ، ونقد الشعر : أظهر ما فيهما من عيب أو حسن . وفلان ينقد الناس : يعيبهم ويغتابهم . والحية فلانا : لدغته. والشيء وإليه ببصره نقودا : اختلس النظر نحوه حتى لا يفطن له . وانتقد الدراهم : أخرج منها الزيف . ويقال : انتقد الشعر علي قائله : أظهر عيبه . والنقد (في البيع) : خلاف النسيئة . ويقال : درهم نقد : جيد لا زيف فيه . وفن تمييز جيد الكلام من رديئه ، وصحيحه من فاسده . والنقاد : الذي ينقد الدراهم وغيرها [١] .

- ولا يظن أن هذه المعاني متباعدة متنافرة ؛ بل هي متقاربة متآلفة، ومن السهل اليسير الجمع بينها ، والتقريب بين هذه المفاهيم التي دارت حولها كلمة (نقد) وبين النقد الأدبي . فالتمييز « موجود ، فكما أن تمييز الدراهم هو فصل صحيحها عن زائفها ، فنقد الآثار الأدبية هو فصل لجيدها من رديئها .... والاختبار موجود أيضا في النقد الاصطلاحي ؛ لأنه يعني الفحص والتأمل .... والإيلام موجود في بعض جوانب النقد لأن منه إلي جانب بيان المحاسن والمزايا – بيان المآخذ وكشف العيوب والمقابح في نتاج الشاعر

---

(١) المعجم الوسيط (نقد) – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع – استانبول – تركيا – (ب.ت) .

أو الناشر ، ولهذا الجانب الأخير وقع أليم لدي المنقود ، وبخاصة إذا ركز الناقد نقده عليه ووجه كل الاهتمام أو جلّه إليه » [1] .

- ولم يخرج معني النقد والناقد – في الاصطلاح – عن المعاني اللغوية السابقة ، فالنقد عبارة عن تمييز الأعمال الأدبية وفحصها لبيان الجيد من الرديء . والناقد : هو الذي يقوم بهذا العمل ، ويتخذه حرفة أو مهنة له بشروط وأسس معروفة .

وعلي الرغم من وضوح المصطلح النقدي ، إلا أن الباحثين أكثروا من تعريفات النقد الأدبي وبيان ماهيته ، ولكني أري أن معظم هذه التعريفات يدور حول أصل واحد ، وهو : تمييز الجيد من الرديء بعد دراسة النص وتحليله .

عرفه الأستاذ / أحمد الشايب فقال : « النقد دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة ، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها »[2] .

وعرفه الدكتور / سعد ظلام بأنه « فن دراسة النصوص الأدبية لمعرفة اتجاهها الأدبي وتحديد مكانتها في مسيرة الآداب ، والتعرف علي مواطن الحسن والقبح مع التفسير والتعليل » [3]

---

(١) من قضايا النقد الأدبي في القديم والحديث – د/ محمد عبد المنعم العربي صـ١٩ ، ٢٠ – مطبعة الأمانة – شبرا مصر – الطبعة الأولي ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

(٢) أصول النقد الأدبي – أحمد الشايب ص١١٥ – مكتبة النهضة المصرية طـ ٨ ١٩٧٣ م .

(٣) النقد الأدبي – د/ سعد ظلام ص٦ – مطبعة الأمانة – شبرا مصر (ب– ت) .

وعرفه الدكتور / محمد عبد المنعم العربي بأنـــه « فحـــص الآثـــار الأدبية ودراستها ، لتمييز جيدها من رديئها ، والحكم لها أو عليها ، مـــن ناقد مستكمل الأداة ، مع الشرح والبيان والتعليل »[١] .

مهمة النقد ومجالاته :

ومادام النقد الأدبي يعني بفحص الآثار ، فإنه من البدهي يكون مجاله هو تلك الآثار الأدبية – شعرها ونثرها – ويكون عمل الأديب حينئذ هو القيام بهذا التمييز والفحص . كما أن مهمة النقد « تكمن فـــي التوضـــيح والتفسير والشرح والتحليل ، والحكم علي العمل الأدبي ، بحيث تظهـــر فيه التجربة الجمالية بصورة مؤثرة تسر القارئ ، وتطـــرب الســـامع ، وتمتع الناظر الفاحص الخبير »[٢] .

ومن مهمة النقد كذلك « تعيين مكان العمل الأدبي في خط ســـير الأدب ، وتحديد مدي ما أضافه إلي التراث الأدبي في لغته ، وفي العالم الأدبي كله ، وأن نعرف أهو نموذج جديد أم تكرار لنماذج ســـابقة مـــع شيء من التجديد ؟ وهل ما فيه من جدة يشفع له في الوجود أم هو فضلة لا تضيف لرصيد الأدب شيئا» [٣] .

---

(١) من قضايا النقد الأدبي في القديم والحديث صـــ٢٠ .

(٢) ملامح النقد العربي في القديم ـــ د/عبد الرحمن عبد الحميد علـــي ج١ ص٢٤ ،٢٥ ـــ مطبعة الأمانة ـــ شبرا مصر ـــ الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـــ = ١٩٨٩ م .

(٣) النقد الأدبي ـــ أصوله ومناهجه ـــ سيد قطب ص١٢ ،١٣٤ ـــ دار الشروق ط سنة ١٩٨٥ م .

ويقوم النقد بمهام أخري ، كالكشف عن سمات الجمال ،وعناصر العمل الأدبي ،وبيان أثر البيئة في الأديب ،والتأثر والتأثير بين الأدباء في مختلف الأزمنة والأمكنة .

مهمة الناقد وشروطه :

قلنا إن الناقد هو الذي يقوم بفحص الآثار الأدبية ، ويميز جيدها من رديئها ، وبمعني أدق فإن الناقد هو« من يتعرض للجنس الأدبي شعرا كان أو نثرا ،أو قصة أو رواية أو مسرحية ، دارسا ومفسرا ، أو موازنا ومحللا وموجها ، حتى يفرغ إلي حكم ما »[١] .

وهذا الناقد الأدبي إنسان ذو طبيعة خاصة ،فهو يختلف عن غيره من الناس في أشياء كثيرة ، أهمها : دقة الحس ، الذكاء ، العبقرية ؛ ولذا اشترط النقاد فيمن يتصدى لهذا العمل الفني شروطا تتفق وطبيعة العمل الذي يمارسه .

وأهم الشروط هي : الذوق ، الثقافة ، الخبرة والدربة .

والخصيصة الجوهرية التي « تميز الناقد المتخصص هي ما يمكن أن نسميه بالذوق »[٢] . وهذا الذوق « ملكة لا غني عنها للناقد

---

(١) النقد الأدبي في أطوار تكوينه عند العرب – د/ محروس منشاوي الجالي صـ ٢٥ دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ م .

(٢) نصوص من النقد العربي – د/ محمود الربيعي صـ ١٥ – دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م .

تمكنه من التعرف علي مواطن الجمال أو القبح فيما تعرض له من نصوص »[1] .

وقيل : إن الذوق « استعداد فطري مكتسب نقدر به علي تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته »[2] .

ويستطيع الناقد تنمية ذوقه وتطويره بالالتجاء إلي عدة مصادر تعينه علي ذلك « كمخالطة الصفوة المختارة من رجال الأدب ، ومطالعة الروائع العالمية لعباقرة الفن ، وقراءة الأمثلة الرفيعة من البيان الخالد ، والاطلاع علي اتجاهات النقاد وأذواقهم وممارساتهم وتطبيقاتهم »[3] .

ويرتبط الذوق بالدربة والثقافة ارتباطا وثيقا ، إذ « الذوق تلك الطاقة النقدية التي تقوم علي الاستعداد الفطري ، وتكتسب فعاليتها العملية بالدربة الطويلة ، وهذه الدربة في مظهرها العملي ليست سوي ثقافة الناقد الأدبي الفعالة في نهاية المطاف »[4] .

ويختلف النقاد في تحديد نوعية الثقافة التي يجب علي الناقد تحصيلها ، فيري بعضهم أنها تنحصر في ثلاثة مجالات هي :
« المجال اللغوي ، والمجال الأدبي ، والمجال العام »[5] .

---

(١) تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ــ د/محمد زغلول سلام صــ١٤ ــ منشأة المعارف بالإسكندرية ط سنة ١٩٨٢م .

(٢) النقد الأدبي د / سعد ظلام صــ ٩ .

(٣) الذوق الأدبي – د/ عبد الفتاح علي عفيفي صــ٩ – مطبعة الأمانة – شبرا مصر – الطبعة الأولي ١٩٨٧ م .

(٤) نصوص من النقد العربي ــ د/ محمود الربيعي صــ ١٥.

(٥) دراسات في النقد الأدبي ــ د/كامل السوافيري صــ ١٢٦ ــ مكتبة الوعي العربي .

ويتعرض الدكتور / محمود الربيعي لهذا الاختلاف فيري أن البعض يذهب إلي تشتيت ثقافة الناقد ، ويذهب البعض الآخر إلي دعم أدبية الأديب وعدم تبديد عمره في فروع أخري لا تعود علي الأدب بطائل ، ويخلص إلي نتيجة مهمة وهي : دعوة الناقد للقراءة الشرهة في كل مجال بشرط أن يعي وهو يقرأ في الفروع الأخرى أنه يقرأ خارج الأدب حتى لا تفتنه هذه القراءة خارج مجاله ،وأن يحذر من تطبيق هذه المعلومات المجلوبة من خارج الأدب علي الأدب علي نحو مباشر(١) .

وهناك شروط أخري للناقد ، منها : عدم قطعية الأحكام ،وعدم التمسك بالأصول القديمة التي لا تصلح للأعمال الحديثة،وعدم غلق باب القول أمام الآخرين(٢) .

---

(١) انظر : نصوص من النقد العربي ــ د / محمود الربيعي ص١٥ : ١٧ .

(٢) انظر ذلك بالتفصيل في : ملامح النقد العربي القديم ــ د/عبد الرحمن عبد الحميد علي ــ ٢٦/١، ٢٧ .

مراحل النقد العربي

العصر الجاهلي والإسلامي :

مر النقد العربي بمراحل متعددة في تكوينه حتى استوي علي عوده ،فكان لكل عصر من العصور الأدبية نقد ذو سمات خاصة تتفق وطبيعة العصر الذي نشأ فيه .

ومما اتفق عليه النقاد أن النقد نشأ مع الشعر وظهر بظهوره ؛ وبهذا نؤكد أن العصر الجاهلي هو بداية النقد كما هو بداية الشعر – علي أرجح الأقوال – حيث أرخ العلماء لبدايته بظهور شعر امرئ القيس ،أي ما يقرب من مائة وخمسين سنة قبل ظهور الإسلام .

ولأن طبيعة الشعر الجاهلي قامت علي اللمحة الخاطفة ،وعدم التأمل الدقيق ، والنظرة العجلَى ، فإن النقد تأثر بهذه الملامح .

فالنقد « في العصر الجاهلي لم يكن أكثر من ملحوظات يلحظها بعضهم علي بعض . وما كان له من أصل إلا سليقتهم وما طبعوا عليه ، كذلك كان النقد قريبا من بعض الأغراض الشعرية في الروح ، فهو كالهجاء حين يعيب ، وكالمديح حين يثني ، ثم هو بعد ذلك كله عربي النشأة كالشعر ، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا علي الذوق العربي السليم ...... ثم هو يحكم علي الأدب ببلاغة الأدب ، ويحكم عليه بالنظرة العجلي ، والأثر السريع »[١] .

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلي القرن الرابع الهجري – تأليف الأستاذ / طه أحمد إبراهيم ص٢٥ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولي ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م .

*وببزوغ فجر الإسلام ، يتغير وجه النقد ، فنراه يخطــو خطــوة نحو الموضوعية ، ونري رسول الله ــ صلي الله عليه وســلم ــ يوجــه الشعراء للقول في مكارم الخلاق ، ويستنشد أصحابه الكرام الشعر فــي كل ما هو نافع ومفيد ، ويصرفهم عن العصبية الجاهلية ، كما حدث في موقفه من نابغة بني جعدة (أبي ليلي) (١) .

وسار الخلفاء الراشدون علي هدي الرسول الكريم وتوجيهاته في تثبيت الفضائل والدعوة إلي مكارم الأخلاق . ويعد عمر بن الخطــاب ــ رضي الله عنه ــ فلتة في تاريخ النقد العربي ؛ بما أصدره مــن أحكــام معللة غير مسبوقة ، فظهر« في أحكامه الدقة ، وبعد الغور بحيــث لــم يسبقه بذلك أحد من النقاد » (٢).

وذلك حين قال لابن عباس ــ رضي الله عنهمــا ــ :« أنشــدني لشاعر الشعراء ، الذي لم يعاظل بين القوافي ، ولم يتتبع وحشي الكلام ، قال : (ابن عباس) من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير . فلــم يــزل ينشده إلي أن برق الصبح »(٣) .

وقد عد النقاد عمر بهذا القول سابقا لأوانه في الأحكام النقدية المعللة؛ « لأنه أول ناقد تعرض نصا للصياغة والمعاني ، وحدد خصائص لهــذه

---

(١) انظر القصة بتمامها في : العقد الفريد ٢/٥٢ ــ تحقيق /د. أحمد يسري الغرباوي ــ دار الإمام علي للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٩٩٢م .

(٢) ملامح النقد العربي في القديم ١/ ٤٠ .

(٣) الشعر والشعراء ١/١٤٣ ــ تحقيق /أحمد محمد شاكر ــ دار الحديث بالقــاهرة ــ الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .

وتلك ، وهو أول من أقام حكما في النقد علي أصول متميزة ،كما عـدوا نقده فلتة سابقة لأوانها في النقد العربي ، لأنه فيما يظهر كـان صـاحب أول تعليل يتوسع في أسباب الحكم الأدبي »[١] .

العصر الأموي :

خطا النقد في هذا العصر خطوة جديدة ــ مع المحافظـة علـي ذوقيته وفطريته ــ فاتسعت آفاقه ،وتعددت روافده باتساع روافد الشـعر وتنوع مجالاته ،فتشجيع الخلفاء ،وعقد المجالس العامة والخاصـة مـن الخلفاء والشعراء والعلماء، وظهور الصراع الحزبي ــ كل هذه العوامل حركت الشعر وأثرته ثراء بالغا ،كما أنها غذت النقد الأدبي بروافد جديدة لم تعهد من قبل علي هذه الصورة .

وعلي الرغم من هذه الخطوات الجديدة ، والآفاق البعيدة ، فإننـا « لا نزال بين نقدة فطريين يشعرون سليقة وطبعـا ، وينقـدون سـليقة وطبعا، لا نزال في عهد من عهود الذوق العربي الخالص ، وفي صورة من صوره السامية ......الذوق هو الغالب في النقد ،وهذا الذوق منسجم متمش مع الحياة الاجتماعية .فالشعر كلام ،وخيـره أجـوده ، والشـعر تصوير الحياة ،وخيره ما أحسن هذا التصوير . كان النقـد اجتماعيـا ، وكان فنيا خالصا »[٢] .

---

(١) معالم النقد الأدبي د/ عبد الرحمن عثمان صـ ١٢٠ ، ١٢١ ــ مطبعـة المـدني ١٩٦٧م - ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ــ طه أحمد إبراهيم صـ٣٥ .

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ــ طه أحمد إبراهيم صـ ٤٨ ،٤٩ .

برزت إذن في هذا العصر صور جديدة للنقد ، فلم يعد الحكم عاماً غامضاً ، وإنما ارتقى الأمر إلى نقد الصياغة والمعاني والصورة ، والحديث عن طبقة الشاعر ، بل والحديث عن الشاعرية والشعور .

واتضحت تلك الجوانب في نقد هذا العصر في مجالس معاوية ، وعبد الملك ، وفي مجالس الشعراء ونقدهم خاصة مما يجعلنا نؤكد ما ذهبنا إليه من تطور النقد في العصر الأموي .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهي مبثوثة في ثنايا كتب الأدب والنقد (١) ، **ولنضرب بعض الأمثلة حتى تتضح الصورة النقدية لهذا العصر** :

مدح عبد الله بن قيس الرقيات عبد الله بن مروان ، فكان مما قال:

يأتلق التاج فوق مفرقه   على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من ملوك العجم ، وتقول في مصعب :

إنما مصعب شهاب من الله   تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزّ ليس فيه   جبروت ولا كبرياء (٢)

يقول المرزباني معلقاً على نقد عبد الملك : « فوجه عيب عبد الملك إنما هو من أجل أن المادح عدل به عن الفضائل النفسية التي هي

---

(١) انظر على سبيل المثال : طبقات فحول الشعراء ٢/٦٤٩ ، ذيل الأمالي صـ ٢٤ .

(٢) الصناعتين ، لأبي هلال العسكري صـ١٠٤ - تحقيق / علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .

العقل والعفة والعدل والشجاعة وما جانس ذلك ودخل في جملته ، إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة وذلك غلط وعيب »[1] .

ومن أمثلة نقد المعاني ما ورد من أن « الكميت الأسدي عارض قصيدة ذي الرمة المشهورة :

* ما بال عينيك منها الماء ينسكب *

واجتمع ببعض الشعراء وأنشدهم ما قال حتى إذا بلغ إلى قوله :

أم هل ظعائن بالعلياء نافعة وإن تكامل فيها الأنسُ والشنبُ

عقد « نصيب » واحدة . فقال له الكميت : ماذا تُحصي ؟ قال : خطؤك. باعدتَ في القول ! ما الأنس من الشنب ؟. فنصيب ينقد معنى في بيت الكميت ، ولأنه قد جمع بين أمرين لا يجتمعان في الخارج ، ولا في الذهن ، أو لم يأت بما سمّاه المحدثون فيما بعد مراعاة النظير»[2] .

وما أكثر نقدات الشعراء في هذا العصر في مجالسهم الخاصة ، ومجالس الخلفاء والخاصة ، وسنتعرض لهذه الانتقادات بشيء من التفصيل في ثنايا البحث عند رصد آراء الشعراء النقدية .

وخلاصة القول في النقد في هذا العصر أنه « تعددت نواحيه بتعدد الأغراض التي برزت في هذا العصر ، فهناك نقد انصبّ على

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تأليف أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني صـ ٢٥٩ – تحقيق / محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب – طه أحمد إبراهيم صـ ٤١ .

الغزل في بيئة الحجاز ، وآخر انصب على المديح في بيئة الشام ، وثالث تناول الفخر في بيئة العراق » [١] .

كما اتجه النقد « بصفة عامة إلى الوضوح والسهولة ، واتسم بالأصالة الفنية والعمق في فهم النصوص ، وعلى ضوء الذوق المثقف الذكي ، أو التعليل العلمي » [٢] .

ولا يفوتنا هنا أن نُشير إلى نقد اللغويين ؛ لأنه نقد يختلف عن نقد الخلفاء والشعراء ، فهو نقد « يتمثل في التمسك بالقواعد النحوية واللغوية ، وقد حاولوا أن يؤكدوا من خلال نقدهم العناية بصحة الشعر ، وتوضيح بنائه ، ومعرفة أعاريضه وأضربه ، وقوافيه ، وسلامته من الخطأ ، وعدم الخروج على قواعد النحو المعروفة » [٣] .

---

(١) رحلة مع النقد الأدبي – د / فخري الخضراوي صـ ٨١ وما بعدها – دار الفكر العربي ١٩٨٠م .

(٢) دراسات في النقد الأدبي – د / حسن جاد صـ ٤٦ . ١٩٧٧م .

(٣) ملامح النقد العربي في القديم ١/٥٠ .

العصر العباسي :

عُرف العصر العباسي بالعصر الذهبي في العلوم والمعارف والحضارة ، بل وفي كل مناحي الحياة . وقد ساعد على الرقي في هذا العصر عدة عوامل ، منها : اهتمام الخلفاء والولاة بالعلوم والمعارف والتشجيع عليها ، وانتشار حركة الترجمة من مختلف اللغات كالفارسية والهندية ، وغزارة الثقافة وتعدد روافدها ، وغير ذلك من العوامل المعروفة لدى دارسي التاريخ والأدب .

ويدخل الأدب والنقد ضمن العلوم والمعارف التي ازدهرت في هذا العصر ازدهاراً لا نظير له من قبل ، وسبب ازدهارهما فوق الأسباب المتقدمة : غزارة الثقافة وتنوع العلوم ، وعناية الخلفاء والأمراء بالشعراء وإجزال العطايا للمجيدين منهم ، والخصومة الدائرة حول الشعراء وانتصار كل فريق لشاعر ضد الآخر – وذلك كالخصومة حول أبي تمام والبحتري – كل ذلك كان سبباً في ازدهار النقد وظهوره في صورة منهجية تمثلت في تأليف الكتب النقدية وإرساء القواعد والأسس الخاصة بالنقد العربي المنهجي .

وقد عرف التاريخ النقدي – ولأول مرة – النقد المنهجي الذي « يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامّة ، ويتناول بالدرس مدارس أدبية أو شعراء ، أو خصومات يفصّل فيها القول ، ويبسط عناصرها ، ويبصر بمواضع الجمال والقبح فيها » [1] .

---

(١) النقد المنهجي عند العرب – د / محمد مندور صـ٥ – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة (ب . ت) .

وبدأ تأليف الكتب النقدية في القرن الثاني الهجري ، فألّف محمد ابن سلام الجمحي (ت ٢٣١) كتابه « طبقات فحول الشعراء » وعالج فيه كثيراً من القضايا النقدية ، فتكلم « عن الخبرة ، والدربة ، والمهارة، ودقة الفهم ، وقوة الإدراك التي يرى أنها لازمة للناقد الأدبي حتى يأتي حكمه سليماً على الشعر ، ودقيقاً في فهمه الصحيح له . وتكلم عن نظرية انتحال الشعر ..... وفكرة كتابه تتمثل في جعل شعراء الجاهلية طبقات ، وكذا شعراء الإسلام جاعلاً نهاية حديثه آخر العصر الأموي تقريباً ، وبهذا لم يذكر من ظهر من الشعراء بعد هذا حتى نهاية حياته » [١] .

ثم توالى تأليف الكتب النقدية في هذا العصر العباسي الزاهر ، فألف الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) كتباً كثيرة ورسائل كان من أهمها كتاباه : « البيان والتبيين » ، « الحيوان » ، وألّف محمد بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) كتابه القيم « الشعر والشعراء » وألّف ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) كتاب « عيار الشعر » ، ثم دارت الخصومة واحتدمت حول أبي تمام ومذهبه الشعري ؛ فنشطت الحركة النقدية حول هذه الخصومة بين أنصاره ومخالفي مذهبه حتى تعددت الكتب حوله ، فكان منها : أخبار أبي تمام ، أخبار البحتري للصولي (ت ٣٣٥هـ) والموازنة بين الطائيين للآمدي (ت ٣٧٠ أو ٣٧١هـ) .

ولم تهدأ الخصومة حول أبي تمام حتى ظهرت خصومة حول شاعر آخر هو المتنبي ، وظهرت عدة كتب نتيجة هذه الخصومة ، فألف القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) كتابه « الوساطة بين المتنبي

---

(١) ملامح النقد العربي في القديم – د/ عبد الرحمن عبد الحميد علي ٨٥/١ .

وخصومه » ، وألف الحسن بن وكيع التنيسي (ت ٣٩٣هـ) كتاب « المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي » ، وألف أبو سعيد محمد ابن أحمد العميدي (ت ٤٣٣هـ) كتاب : « الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى » ، ثم ألف « أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي الدهان النحوي البغدادي كتاباً سماه (المآخذ الكندية من المعاني الطائية) أي أنه خصص كتابه لدراسة سرقات المتنبي من أبي تمام خاصة ثم البحتري فيما يبدو » [1] .

ولم تتوقف حركة التأليف النقدية في هذا العصر بتوقف الخصومات النقدية ، وإنما توالي تأليف الكتب النقدية التي تحمل آراء ومذاهب مؤلفيها بالإضافة إلى جمع الآراء السابقة والتعليق عليها بالرفض أو القبول ، فرأينا الموشح للمرزباني(ت٣٨٤) ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) ، الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ) ، وأسرار البلاغة ، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ) ، العمدة لابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧ هـ) ، وغيرها من الكتب النقدية التي أثرت الحركة النقدية ، ووضعت للنقد الأدبي أصوله ومنهجه علي صورة لم يعهدها النقد العربي من ذي قبل .

وقد أدلي الشعراء بدلوهم في التأليف النقدي في عصر التأليف النقدي المنهجي ، فوجدنا كثيرا من مشاهير الشعراء يضيفون للنقاد

---

(١) مشكلة السرقات في النقد العربي – د/ محمد مصطفى هدارة صـ ٢٠٠ – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠١هـ = ١٩٨١ م .

ومؤلفاتهم كتبا وآراء نقدية كثيرة ، فألف دعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٣٥ أو ٢٤٦ هـ) كتاب « الشعراء » ولم يدخل فيه أبا تمام ، ولما سئل « عن أبي تمام قال : ثلث شعره سرقة ، وثلثه غث – أو قال غثاء – وثلثه صالح »(١) .

وألف عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) أكثر من كتاب ، فألف « البديع » ، « طبقات الشعراء » ، « رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساوئه »(٢) ، وتحمل هذه الكتب كثيرا من آرائه النقدية في الشعر عامة وفي الشعراء الذين تعرض لهم خاصة .

ومن الشعراء المؤلفين مهلهل بن يموت ، فقد ألف كتابا في سرقات أبي نواس ، ومهلهل « من شعراء القرن الرابع ورواته ونقاده المشهورين ونحن لا نعرف بالضبط سنة وفاته وإن كنا لا نشك في أنه ألف هذا الكتاب قبل تأليف القاضي الجرجاني لكتاب الوساطة ؛ لأن القاضي الجرجاني اطلع علي كتاب مهلهل – كما قرر في الوساطة صـ ٢٠٩ واتهمه بالتعصب علي أبي نواس »(٣) .

ومن الشعراء الذين شاركوا في الخصومة الدائرة حول المتنبي ، الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) حيث ألف رسالة بعنوان « الكشف عن مساوئ شعر المتنبي »، ولم يكن منصفا في آرائه حول المتنبي ؛ لأن رسالته « قائمة – كما هو معروف في تاريخ النقد – علي تجريح

---

(١) الموشح ص ٣٤٤.

(٢) جاء معظم هذه الرسالة في كتاب : الموشح ص ٣٤٦ : ٣٥٩ .

(٣) مشكلة السرقات في النقد العربي – د/ محمد هدارة صـ ١٧٤ .

المتنبي والغض من شأنه ، لهذا لم يكن للصاحب فيها منهج نقدي واضح ، فهو يشير إلي سرقات المتنبي إشارة سريعة يحاول تجريحه بها فحسب » (١) .

ويشارك الشاعر أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) بكتاب في« البديع » وقد سبقه بهذا ابن المعتز بكتاب بنفس العنوان ، ولهذا جعله الدكتور هدارة « مجرد ناقل ومردد لما سبق من أقوال ودراسات البلاغيين . وهو يصرح لنا بذلك في مقدمة كتابه إذ يعترف بنقله عن كتاب البديع لابن المعتز ، وحلية المحاضرة ، والحالي وهما للحاتمي ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال ، واللمع للعجمي ، والعمدة لابن رشيق » (٢) .

ويمكن أن نعد كتب الاختيارات من النقد ؛ لأن الاختيارات كما قال الحصري القيرواني (ت٤١٣ أو ٤٥٣هـ) تدل علي عقل الرجل وفكره ، يقول الحصري في مقدمة كتابه « زهر الآداب » : « وليس لي في تأليفه من الافتخار أكثر من حسن الاختيار ؛ واختيار المرء قطعة من عقله تدل علي تخلفه أو فضله ؛ ولاشك – إن شاء الله – في استجادة ما استجدت ، واستحسان ما أوردت ؛ إذ كان معلوما أنه ما انجذبت نفس ، ولا اجتمع حس ، ولا مال سر ، ولا جال فكر ، في أفضل من معني لطيف ظهر فيه لفظ شريف ؛ فكساه من حسن الموقع قبولا لا يدفع ، وأبرزه يختال من صفاء السبك ، وصحة الديباجة ، وكثرة المائية ، في أجمل حلة ، وأجل حلية » (١).

---

(١) ، (٢) مشكلة السرقات في النقد العربي – د/ محمد هدارة صـ ١٥٧ ، ١٢٦ .

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ، للحصري ١/٣– تحقيق : علي محمد البجاوي – دار إحياء الكتب العربية – عيسي البابي الحلبي وشركاه – الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .

وقد اختار كثير من الشعراء مختارات شعرية في القديم والحديث، وهي تدل علي أذواقهم ، واتجاهاتهم النقدية ، فمنهم البحتري الذي صنع « الحماسة » علي غرار حماسة أبي تمام ، ومنهم البارودي في العصر الحديث الذي صنع « مختارات البارودي » .

ويعد أبو تمام ظاهرة فريدة في كثرة اختياراته ؛ لأنه « كان مستهتراً بالشعر مشغوفا به ، مشغولا مدة عمره بتبحره ودراسته ، وله كتب اختيارات مؤلفة فيه مشهورة معروفة ، فمنها : « الاختيار القبائلي الأكبر ، اختار فيه من كل قبيلة قصيدة ، ومنها اختيار آخر ترجمته « القبائلي » اختار فيه قطعا من محاسن أشعار القبائل ، ومنها الاختيار الذي تلقط فيه محاسن شعراء الجاهلية والإسلام ، ومنها اختيار المقطعات ، ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين . فهذه الاختيارات تدل علي عنايته بالشعر ، وأنه اشتغل به ، وجعله وكده وغرضه » [١] .

كما كان لكثير من الشعراء آراء نقدية غير أنها مبثوثة في كتب الأدب والنقد ، وقد نقلها لنا المؤرخون عبر العصور بعد أن سلمت من الضياع ، وسنعرض لكثير منها فيما يخص البحث في موضوعه – إن شاء الله تعالى – .

---

(١) الموازنة للآمدي ١ / ٥٨ ، ٥٩ – تحقيق السيد محمد صقر – دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٧٢م .

المبحث الثاني

امتداد الشعر في بيوت الشعراء

ليس كل ما يملكه الإنسان يستطيع أن يورثه أبناءه وأهله من بعده، فهناك أشياء تورث دائماً ، وأشياء تورث في بعض الأحيان ، وأشياء تُعدّ نادرة في الموروثات .

فالمال والنسب والحسب من الموروثات الدائمة المعروفة ، والصفات الخُلقية والخَلقيَة تورث أحياناً ، كالكرم ، والبخل ، و الشجاعة، والطول ، والقصر ، والذكاء ، والغباء – كل هذه الأشياء قد يرثها الأبناء والأحفاد ولكن بنسبٍ متفاوتة يعرفها علماء الوراثة .

وأما الإبداع الفني خاصة ، فهو من الموروثات النادرة ، إذ ليس من الدائم أن يحمل أبناء المبدع أو إخوانه ما يتمتع به من عبقرية وإبداع فني ؛ وكثيراً ما قرأنا عن مبدعين – شعراء وكتاب – في مختلف العصور تركوا الحياة ولم يمتد إبداعهم في بيوتهم ، فالنابغة الذبياني ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، والفرزدق ، والأخطل ، و البحتري ، والمتنبي ، وشوقي ، والرافعي من الشعراء ؛ وابن العميد ، وابن المقفع ، والقاضي الفاضل من الكتاب ، وغيرهم كثير رحلوا عن دنيانا ولم نسمع عن امتداد الإبداع الفني في بيوتهم ، فلم يرثهم أبناء أو أحفاد ليجملوا إبداعاتهم من بعدهم – وهذا يؤكد ما ذهبت إليه من أن هذا الإبداع نادراً ما يحمله مبدعون آخرون من البيت نفسه .

ولا ينفي هذا وجود مبدعين في بيوت الشعراء – إخوة أو أبناء أو أحفاد – توارثوا الإبداع عن أهليهم ، وراحوا يكملون المسيرة الشعرية داخل البيت الواحد ؛ لئلا ينقطع الإمداد الإبداعي في هذه البيوت اللامعة.

وكان الشعر في الجاهلية – كما ذكر ابن رشيق حكاية عن ابن سلام – يتنقل في القبائل ، ولا يستقر في قبيلة واحدة « فكان في ربيعة وكان منهم مهلهل بن ربيعة ، والمرقشان ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة ،والمتلمس ، والأعشي .ثم تحول الشعر في قيس : فمنهم النابغتان ،وزهير بن أبي سلمي ،وابنه كعب، ولبيد ، والحطيئة ، والشماخ ــ واسمه معقل بن ضرار ــ وأخوه مزرد ، وجزء أخوهما . ثم استقر الشعر في تميم ، ومنهم كان أوس بن حجر حتى نشأ النابغة " [١] .

والشعراء أكثر من أن يحصيهم عد في كل زمان ومكان ، وذكر ذلك ابن رشيق فقال : « والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عددا ، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم ،وسار شعرهم ،وكثر ذكرهم،حتى غلبوا علي سائر من كان في أزمانهم ، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له،وقل ما يجتمع علي واحد »[٢] .

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تأليف /أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ٨٦/١ :٨٨ ــ تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ــ دار الجيل للنشر والتوزيع ــ بيروت لبنان (ب . ت) .

(٢) المصدر نفسه ٩٤/١ .

وعرف الشعراء قدر هذه الوراثة الشعرية فأشادوا بها ، وامتدحوا من تحلي بها ، وهجوا من حرم منها . ومن أقدم ما يروي في الوراثة الشعرية ما رواه ابن الكلبي عن أبيه قال: « لما حضر بشامة بن الغدير الموت جعل يقسم ماله في أهل بيته وبين بني إخوته ، فأتاه زهير فقال : يا خالاه ، لو قسمت لي من مالك فقال : والله يا ابن أختي لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله . قال : وما هو ؟ قال : شعري ــ ورثتنيه »[1] .

ولم تكن هذه الوراثة مجرد قول الشعر، والنبوغ فيه ، وإنما كان لهذا الإرث معني آخر ، ومهمة كبيرة في التوجيه والإصلاح ، إذ ليس « لهذا الإرث الأدبي من معني إلا أن بشامة بث في زهير روحه ، وتعهده في عهد النشوء والطلب ، وقوم من عوج شعره ، ومضي به في سبيل الإجادة والإتقان . والأمر بالمثل بين الأعشى والمسيب بن علس ، والأمر بالمثل عند كثير من الشعراء الذين نشأوا في حجور أقاربهم : توجيه المأخوذ عنه للآخذ ، وظهور خصائص بشامة و أوس بن حجر مثلا عند شاعر كزهير »[2] .

---

(١) الأغاني ١٠/ ٣١٢ . دار الشعب بالقاهرة .

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ــ طه أحمد إبراهيم صـ٢١.

وهجا الطرماح الفرزدق ،فأشار إلي حرمانه من وراثة الشعر ، فقال:

أم كان في غالب شعر فيشبهه شعر ابنه فينال الشعر من صدد[١]

ولم يسكت الفرزدق عن هذه الإهانة التي تجرده من وراثة النبوغ الشعري ، وإنما دافع عنها في موطن آخر ، فقد « قيل للفرزدق : مالك وللشعر ؟ فو الله ما كان أبوك غالب شاعرا ،ولا كان صعصعة شاعرا ، فمن أين لك هذا ؟ قال: من قبل خالي ، فقيل : أيُّ أخوالك ؟ قال : خالي العلاء بن قرظة الذي يقول :

إذا ما الدهر جر علي أناس بكلكلة أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا [٢] .

وفي هذا الرد تأكيد للنظرية العلمية في علم الوراثة ، والتي تثبت أن الصفات الوراثية لا تقتصر علي الوالدين ، وفيه أيضا تأكيد علي الاعتزاز بهذا النوع من الوراثة والذي لا يعدله مال ولا جاه !.

وتتوقف درجة الوراثة الإبداعية قوة وضعفا علي عدد المورثين الذين يحملون تلك الصفات العبقرية ،ولهذا فرق العلماء والنقاد بين أنواع الوارثين ، وجعلوا لكل نوع مصطلحا خاصا به ، فأطلقوا ألفاظ : المعرق ، والثنيان ، وذوالبيت علي ثلاث من حالات الوراثة الإبداعية ،

---

(١) الشعر الشعراء ٢/٥٨٨ ،غالب :هو ابن صعصعة بن ناجية بن عقال ،وهو أبو الفرزدق .الصدد:من معانيه : الناحية والقرب .(المحقق) .

(٢) الشعر والشعراء ١/ ٤٧٨.

فعرفوا المُعْرِق بأنه « من تكرر الأمر فيه وفي أبيه وفي جده فصاعدا، ولا يكون معرقا حتى يكون الثالث فما فوقه ...وذو البيت من عَمّ الأمرُ جميعَ أهل بيته أو أكثرهم ...وأما الشاعر ابن الشاعر فقط فيقال له "الثُّنْيان" » [1] .

وقد كثرت البيوت الشعرية في فترة الدراسة ، وكان منها المعرق وغير المعرق ، وتعرض ابن رشيق لكثير من هذه البيوت الشعرية ، وذكرها مجتمعة تحت عنوان : باب بيوتات الشعر والمعرقين فيه .

فذكر من البيوتات الجاهلية ، بيت أبي سلمى : وكان شاعرا واسمه ربيعة ، وابنه زهيرا وكان شاعرا ، وله خؤولة في الشعر : خاله بشامة بن الغدير ، وكان كعب وبجير ابنا زهير شاعرين ، وجماعة من أبنائهما .

وذكر من المخضرمين حسان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام ، وهو وأبوه وجده وأبو جده شعراء ، وابنه عبد الرحمن شاعر ، وسعيد بن عبد الرحمن شاعر .

وبعد هذين البيتين بيت النعمان بن بشير ، وبنوه : أبان ، وبشير ، وشبيب ، وابنته حميدة ، ومن بني بنيه عبد الخالق بن عبد الواحد ، وعبد القدوس بن عبد الواحد بن النعمان ، وأم النعمان عمرة بنت رواحة شاعرة ، وخاله عبد الله بن رواحة أحد شعراء النبي – صلى الله عليه وسلم .

---

(١) العمدة ٣٠٨/٢ .

وتحدث عن بيوت مُعْرِقة في الشعر ، فذكر بيت نهشل بن حَرّي ابن ضمرة بن جابر بن قطن ، ستة ليس يتوالى في بني تميم مثلهم شعراً وشرفاً وفعالاً .

وبعد ذلك تحدث عن بيوتات الشعر في الإسلام ، فذكر بيت جرير : وكان هو وأبوه عطية وجده الخَطفَى شعراء ، وكان بنوه وبنو بينه شعراء .

وتوالى الحديث بعد ذلك عن الإسلاميين (الأمويين والعباسيين)، فذكر أن من المعرقين عقبة بن رؤبة بن العجاج .

وذكر بيت أبي حفصة : فكان مروان شاعراً ، وجماعة بيته شعراء يضربون بألسنتهم أنوفَهم ، وكان يحيى جد مروان شاعراً يهاجي اللعين المنقريّ وجريراً ، وأكثر أهل بيته شعراء رجالاً ونساء .

ثم تحدث عن كثير من بيوت الشعراء ، فذكر بيت أبي عيينة ، وبيت الرقاشيين ، وبيت اللاحقيين ، وبيت أمية الكاتب ، وبيت رزين ، وبيت حميد بن عبد الحميد [(١)] .

ولم يُغفِل ابن رشيق الحديث عن الإخوة الشعراء ، فذكر كثيراً منهم ، فقال : « ومن الإخوة ومن لم يعرق : لبيد وأخوه لأمه أربد ، والشماخ وأخواه جزء ويزيد – وهو مُزرد – وبنو ابن مقبل وهم عشرة إخوة ، تميم ، وفضالة ، وحيان ، ورفاعة ، ووبرة ، والمضاء ، وأعقد ، وعبد الله ، وخفاف ، وأبو الشمال ، وأم تميم ابنة أمية بن أبي الصلت ، وفي أولاد إخوته المذكورين آنفاً شعر ؛ وقيس بن عمرو النجاشي وأخوه

---

(١) انظر ذلك بالتفصيل في : العمدة ٢ / ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

خديج ، وعمرو بن أحمر وأخوه سنان وسيار ، وغيلان ذو الرمّة وإخوته : أوفى ، ومسعود ، وهشام ، وحرقاس ، شعراء خمستهم ، ومسلم بن الوليد وأخوه سليمان الكفيف ، وأشجع السُّلَمي وأخوه أحمد»[1].

وهناك شعراء كثيرون توارثوا الشعر فوق ما ذكره ابن رشيق ، وقد انحصرت صورة الوراثة في بيوت الشعراء في صورتين :

الأولى : في الرجل وبنيه . **الثانية** : في الرجل وإخوته .

وتحققت الصورة الأولى في بيوت كثيرة ذكر معظمها ابن رشيق، وسكت عن بعضها ، فمن الشعراء الذين ورّثوا الشعر لأبنائهم « بشر بن منقذ من عبد القيس . وكان شاعراً محسناً . وله ابنان شاعران أيضاً ، يقال لهما : جَهْم و جُهَيْم » [2] .

ومنهم أبو ذؤيب الشاعر الهذلي الكبير ، وكان له « ابن يقال له مازنُ بن خويلد ، ويكنى أبا شهاب ، وهو أحد شعراء هذيل »[3] .

وذلك غير كثير من شعراء قبيلة هذيل التي حافظت على شعر شعرائها ، وهو مجموع ومعروف .

وقد لا يُخلف الشاعر ابنا شاعرا في عصره ، وإنما يكون له شاعر من عقبه فيما بعد ، كما حدث لعمرو بن كلثوم التغلبي الشاعر الجاهلي ، فهو لم يُخلف شعراء في عصره ،وإنما كان له عقب منهم

(١) العمدة ٢ / ٣٠٨ .

(٢) الشعر والشعراء ٢ / ٦٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٦٥٧ .

« العتابي الشاعر المشهور (العباسي) واسمه كلثوم بن عمرو ، ويكني أبا عمرو ، وكان كاتبا مجيدا في الرسائل ، وشاعرا مجيدا »[1] .

ومن الشعراء الذين تركوا أولادا شعراء ـ وإن لم يعرفوا - متمم ابن نويرة ، فكان له ولدان شاعران ، قال الأستاذ / محمود شاكر في هامش الطبقات عند ذكر متمم بن نويرة : « قال ابن حزم في الجمهرة : صـ٢١٣ : ولمتمم ابن شاعر اسمه داوود بن متمم ، وفي بعض النسخ داء ودبن متمم بحذف "ابن" وهو خطأ ، فلا شك أن داوود بن متمم هذا ، لم يدركه أبو عبيدة ، ولداوود بن متمم بيت في النقائض : صـ٣١٦ ، ولمتمم ابن آخر اسمه إبراهيم بن متمم كان متمم يكني به أبا إبراهيم ، و له شعر في أنساب الأشراف ٢/٤ :١٣٠ ، وله خبر في الموشح : صـ٢٤٠ وانظر : معجم الشعراء : صـ٤٦٦ ، والشعر والشعراء : ٢٩٨ »[2] .

وقد يخلف الشاعر أبناء شعراء غير مشهورين أي لم يبلغوا شهرة آبائهم ، كأبي العتاهية ، وأبي تمام ، فقد أخلف أبو العتاهية ولدين شاعرين ، هما : محمد ، العتاهية ، وورد ذكر العتاهية في طبقات الشعراء لابن المعتز وغيرها من الكتب ، فقال ابن المعتز : « وكان العتاهية بن أبي العتاهية شاعرا مطبوعا قادرا علي الكلام ، وكان أبوه خبيث الدين يذهب مذهب الثنوية ، إلا أنه كان ناسك الظاهر ، وكان

---

(١) المصدر نفسه ١/٢٣٦ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ١/ ٤٧ هامش رقم (١) . تحقيق / محمود شاكر ـ دار الإمام علي للطبع والنشر القاهرة ١٩٩٢م .

العتاهية صحيح الدين ورعا ، وولي القضاء برهة ، وكان محمود السيرة حسن الصفة ، وكان جمع مع الشعر الفقه »[1] .

وأما محمد بن أبي – العتاهية فورد ذكره في موطن آخر ، ولـــه حديث مع والده سنذكره في موطنه من البحث .

أما أبو تمام ، فقد خلف تماما الذي كان يكني به ، وهـــو وإن لـــم يكن علي درجة رفيعة من الشعر إلا أنه كان شاعرا ، وله شـــعر وآراء نقدية ، ودور في حفظ شعر أبيه ، ونسوق هذا الخبر عن شعره لنتبـــين الفرق بين شعره وشعر أبيه ، روي الصولي قال :« قـــال أبـــو ســـهل الرازي : لما ولي محمد بن طاهر خراسان ، دخل الناس لتهنئته ، فكان فيهم تمام بن أبي تمام الطائي فأنشده :

هنـــاك رب الناس هنـــاكا ... ما من جزيل الملك أعطاكا

قرت بما أعطيت ياذا الحجي ... والباس والإنعـــام عيناكا

أشـــرقت الأرض بمـــا نلته ... وأورق العـــود لنجـــواكا

فاستضعفت الجماعة شعره وقالوا : يابعد ما بينه وبين أبيه ! (وأغـــروا بعض الحاضرين بالرد عليه شعرا) فقال تمام : أعـــز الله الأميـــر ، إن الشعر بالشعر ربا ، فاجعل بينهما رضخا من دراهم حتى يحل لي ولك !

---

(١) طبقات الشعراء ، لابن المعتز ص٣٦٣ – تحقيق / عبد الستار أحمد فـــراج – دار المعارف بمصر – الطبعة الرابعة ١٩٥٦ م.

فضحك محمد (والي خراسان) وقال : إن لم يكن معه شعر أبيه ، فمعه ظرف أبيه ، أعطوه ثلاثة آلاف درهم ، فقال عبد الله بن إسحاق : ولقول أبيه في الأمير عبد الله بن طاهر (والد الممدوح) :

أمطلع الشمس تنوي أن نؤم بنا ؟   فقلت : كلا ، ولكن مطلع الجود

ثلاثة آلاف أخري ، قال : ويعطي ذلك » [١] .

*** وأما الصورة الثانية ، وهي صورة الإخوة الشعراء فتتمثل في أبناء الشعراء الذين ذكرنا بيوتهم - فالأبناء أخوة - وتتمثل كذلك في صورة الشعراء الإخوة الذين ذكرنا بعضهم فيما مضي من صفحات .

ويمثلها ــ بوضوح ــ الشاعر أبو خِراش الهذلي وإخوته ، فهو « من شعراء هذيل ، واسمه خويلد بن مرة ، ونهشته حية فمات في زمن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ...وكان لأبي خراش أخ يقال له عروة بن مرة ، من شعراء هذيل المعدودين ، وهو الذي رثاه . وأخوه أبو جندب بن مرة أيضا ، أحد شعراء هذيل المعدودين » [٢] .

ومن الشعراء الإخوة ، شماخ بن ضرار وأخواه مزرّد ، وجزء ، وكانوا يقولون الشعر منذ صغرهم ، روي الجاحظ قال : « أرادت أم أوس (أم شماخ ، ضرار ، جزء) من بني ضرار ، أن تتزوج رجلا

---

(١) أخبار أبي تمام، للصولي ص ٢٦١ ، ٢٦٢ - تحقيق / خليل محمود عساكر وآخرين - المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت (ب - ت) .

(٢) الشعر والشعراء ٦٦٣/٢ ، ٦٦٤ .

يسمّي أويسا (وكان شاعرا) . فلما رآه بنو ضرار بفناء أمهم للخِطبة ، تناول شَماخ حبل الدلو ثم متح وهو يقول :

أم أويس نكحت أويسا

وجاء مزرّد فتناول الحبل وقال :

أعجبها حدارة وكيْسا

وجاء جزء فتناول الحبل فقال :

أصدق منها لَجْبَة وتَيْسا

فلما سمع أويسٌ رَجز الصبيان بها هرب وتركها »[1] .

وتتمثل صورة الإخوة في أبي تمام وأخيه سَهْم – وإن لم يبلغ مبلغ أبي تمام في الشهرة والشاعرية – ، فقد « قال عبد الله بن عبد الله : كان لأبي تمام أخ يقال له سَهْم ، وكان يقول الشعر فمن شعره :

ونازعتُه شيئًا إليه مبغّضا فلما رأى وجدي به صار يعشقُهُ

فدعْه ولا تحزنْ على فائزٍ به فإن جديدات الليالي ستُخلقُهْ[2] .

(١) البيان والتبيين ، للجاحظ ٤/١٠٠٦ – تحقيق/ حسن السندوبي – دار إحياء العلوم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

(٢) أخبار أبي تمام ، للصولي صـ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

ولم يترك أبو تمام أخاه دون مساعدة ، بل كانت تأخذه عاطفة الأخوة فيعاونه بكل سبيل ، روى الصولي عن البحتري خبرا جاء فيه : « كان لأبي تمام أخ يقال له سَهم ، وكان يقول شعرا دونا ، فجاء إلي أبي تمام يستميحه فقال له : والله ما يَفْضل عني شيء ، ولكني أحتال لك ، فكتب إلي يحيي بن عبد الله بقصيدة أولها :

إحدي بني بكر بن عبد مناهِ ... بين الكثيب الفرْدِ فالأمواهِ

فقال فيها :

سَهْمُ بن أوس في ضمانك واثقٌ ... أن لستَ بالناسي ولا بالساهي

أجْزل له الحظين منك وكنْ له ... ركنا علي الأيام ليس بواهي

بولايتين ولاية مشهورة ... في كورة وولاية بالجاهِ

هو في الغني غرسي ، وغرسُك في العلا ... أنّى أردتَ ، وأنت غرْسُ الله [1]

ولم يقتصر الأمر علي ما ذكرنا من بيوت ، وأسماء أبناء ، وأسماء إخوة ، وإنما توجد عشرات الأسماء في بيوت مختلفة في كل عصر ومصر ، وإنما ذكرنا تلك الأسماء والبيوت ؛ لما فيها من دلالة علي ما ذهبنا إليه في بداية المبحث من أن الشعر قد يورث ، وقد يمتد

---

(١) أخبار البحتري ، للصولي صـ١٤٦ ، ١٤٧ ـ تحقيق صالح الأشتر - مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٨م

في البيوت ليشمل عددا كثيرا أو قليلا من أبناء الشعراء وإخوتهم فيحيون بذلك تلك العبقرية التي يفخرون بها مدى الأيام .

دور الأبناء في الشعر :

قام الشعراء ــ آباء وأبناء وأحفاد ــ بدور كبير في قول الشعر ونقده ، فمدحوا ، وهجوا ، ورثوا ، ورفعوا من أرادوا رفعه ، ووضعوا من أرادوا ضعته ، كما قوّموا معوجّه ، وحافظوا عليه من الضياع بالأخبار والرواية .

وكلما كان الشاعر محايداً بعيدا عن التعصب والحقد والكذب ، كان الدور مهما وفعّالا في إفادة الشعر علي مر العصور .

وتمثّل دور الأبناء الشعراء في عدة صور منها : الرواية ، الإجازة ، الدفاع عن الوالد والقبيلة ، بالإضافة إلي الآراء النقدية في الشعر عامة ، وفي أشعارهم وأشعار آبائهم خاصة .

ويُعد «أبو الغوث» ، يحي بن البحتري من أكثر رواة الأخبار التي تتصل بأبيه (البحتري) وشعره . وبقراءة كتاب «أخبار البحتري» ، للصولي رأينا كثيرا من الأخبار التي رواها أبو الغوث عن والده ، مما جعل محقق الكتاب يعده من أكبر المصادر عن البحتري ، قال : « أبو الغوث ، كنية ابن البحتري ، يحيي بن أبي عبادة ، وهو شاعر مقل ، عاد إلي بغداد بعد وفاة أبيه ، وروى عنه كثير من الناس شعر أبيه وأخباره ، ومنهم الصولي . وأبو الغوث أكبر مصادرنا اليوم لمعرفة البحتري» [1] .

---

(١) أخبار البحتري ، للصولي صــ٥٥ هامش رقم (٢) .

ومن البناء الرواة ، تمام بن أبي تمام ، فقد روى كثيرا من أخبار والده (أبي تمام) في كتاب أخبار أبي تمام للصولي ، وهي روايات جيدة بما تحمله من أخبار عن الشاعر وشعره ، تفيد المؤرخين والنقاد ؛ لما لها من صدق ودلالة علي الأصالة في الرأي ونقل الخبر.

ولا تعد الرواية المشوبة بالتعصب رواية صحيحة ؛ لأنها تفقد مصداقيتها ــ إما بالزيادة أو النقصان أو الكذب ــ وذلك «كأولاد جرير وأحفاده فقد كانوا يروون أخبار أبيهم ومآثره ويسألهم الناس عنها ، ولعلهم لم يسلموا من التعصب له والتحامل علي خصومه ، فمجدهم من مجده ، ولقد وجدوا أبواب الملوك وسراة الناس ، وعلماء الشعر مفتحة بسبب ما كان جرير عليه من الشهرة ، وذيوع الصيت » [١] .

وكان كثير من أبناء الشعراء يكذبون في الرواية ، وينحلون آباءهم شعرا لم يقولوه ــ ظنّا منهم أنهم بذلك يرفعونهم ، ويحافظون علي أشعارهم ــ ولكن سرعان ما يُكشف هذا الزيف ويُفضح صاحبه ، فالعلماء والرواة من ذوي الخبرة لم يكن يخفي عليهم التمييز بين شعر الشاعر وما نحله إياه أبناؤه .

ومن هؤلاء الأبناء الكذابين ابن داوود بن متمم بن نويرة ، روى ابن سلام عن أبي عبيدة قال : «قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجَلَب والميرة ، فنزل النحيب (من قرى البصرة الصغيرة) ، فأتيته أنا وابن نوح العُطاردي ، فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته

(١) الشعراء نقادا ــ د/ عبد الجبار المطلبي ص٥٢ ــ دار الشئون الثقافية العامة ــ بغداد ــ الطبعة الأولي ١٩٨٦م .

وكفيناه ضيعته ، فلما نفد شعر أبيه ، جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا، وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتذي على كلامه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم ، والوقائع التي شهدها . فلما توالي ذلك علمنا أنه يفتعله » [1] .

وكنا نود من ابن سلام أن يذكر لنا شيئا من هذا الشعر المنحول ؛ لنوازنه بشعر متمم الحقيقي ، فتتضح الصورة الفعلية ، لكنه لم يفعل!.

ومن هؤلاء الأبناء الرواة الكذابين : ولد الأغلب العجلي ، قال الأصمعي عن الأغلب وشعره والانتحال فيه :« ليس هو بفحل ولا مُفلح. قال : وأعياني شعره . وقال : ما أروي للأغلب إلا اثنتين ونصفا . قال أبو حاتم : قلت : وكيف قلت نصفا ؟ قال : أعرف له اثنتين ، وكنت أروى نصفا من التي علي القاف فطولوها . ثم قال : كان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه .

وقال خلف أيضا : أعياني شعر الأغلب . قال : وكان من ولده إنسان يصدق في الحديث والروايات ، ويكذب عليه في شعره » [2] .

** وقد تتعصب القبيلة للشاعر ، فترفعه ، وتدافع عنه ، وتُلحقه بالشعراء الكبار دون كذب أو انتحال .

قال ابن سلام : « وسألت بشارا المرعث : أيُّ الثلاثة أشعر ؟ فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه » [1].

(١) طبقات فحول الشعراء ٤٧/١ ، ٤٨ .

(٢) الموشح ص ٢٥٠.

(١) طبقات فحول الشعراء ٤٥٦/٢.

وزاد المرزباني علي الخبر فقال : «حدثنا الأصمعي قال : سألت بشار بن برد العقيلي : أي الشعراء أشعر في الإسلام ؟ قال : جرير والفرزدق .

قال : قلت : فما بالهم جعلوا الأخطل ثالثا ؟ قال : تعصبت له ربيعة ، فقالت لمضر : ألحقوا لنا شاعرا ، فألحقوه ، وليس هناك » (٢) .

وفي اعتقادي أن هذا الخبر مطعون فيه ؛ فالأخطل شاعر كبير ، وقد اختلف النقاد في تفضيل أحد الثلاثة علي صاحبيه ، وكثرت الآراء النقدية حولهم إلا أن النقاد لم يجتمعوا علي واحد .

وكما تتعصب القبائل لشعرائها لإلحاقهم بالكبار ، تتعصب لهم خوفا عليهم ، وتوجيها لأشعارهم ، وذلك كما فعلت بنو يربوع مع جرير، حيث كان « جرير مقيما بالمرُّوت من البادية ، والفررزدق بالعراق ، وهما يتهاجيان ، فأرسلت بنو يربوع إلي جرير : إنك مقيم بالمرّوت ليس عندك أحد يروي عنك والفرزدق بالعراق قد ملأها عليك منذ سبع حجج ، فانحدر إلي العراق فأقام بالبصرة ، ولذلك يقول :

وإذا شهدتُ لثغر قومي مشهدا ... آثرتُ ذاك علي بنيّ ومالي» (١).

*** ومن الأدوار التي قام بها الأبناء الشعراء الإبداع المنفرد وهو ظاهر كثير في كل العصور ، والإبداع المشترك – ويمثله ظاهرة

(٢) الموشح ص ١٤٧.

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٦٧ .

الخالديين - ، والإبداع المساعد (الإجازة) ، وذلك عندما يجبل الشاعر فيقوم الابن بإجازة الوالد وفتح باب القريض أمام الأب الشاعر .

فمن الإجازة التقليدية الاتباعية ، إجازة أبناء حسان له ، روي الثعالبي قال : « من أحاسن حسان في جوامع كلمه قوله :

وإن امرأ يمسي ويصبح سالما   من الناس إلا ما جني لسعيد

فأجازه ابنه سعيد بقوله :

وإن امرأ نال الغني ثم لم ينل   صديقا ولا ذا حاجة لسعيد

ثم أجازه ابنه عبد الرحمن بقوله :

وإن امرأ عادي أناسا علي الغني   ولم يسأل الله الغني لحسود [1] .

وواضح من إجازة أبناء حسان اتباع طريقة الأب في المحافظة علي الأصالة ، وجودة المعني وجوامع الكلم .

وأن الإجازة وقت الإجبال ، أي الانقطاع عن مواصلة الإبداع ، فهي كثيرة بين الشعراء بعضهم بعضا ، وبين الشعراء وأبنائهم - وهذا ما يهمنا - فمنها ما حدث بين حسان وابنته ، وكانت « شاعرة ، وأرق حسان ذات ليلة فعن له الشعر فقال :

---

(١) الإعجاز والإيجاز - تأليف أبي منصور الثعالبي ص ٩٤ - تخريج وحواشي د/ محمد التونجي - دار النفائس - بيروت - لبنان - الطبعة الأولي ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

متاريك أذناب الأمور إذا اعترت   أخذنا الفروع واجتثثنا أصولها

ثم أجبل فلم يجد شيئا (أجبل : انقطع) ، فقالت له بنته : كأنك قد أجبلت يا أبه ؟! قال : أجل ، قالت : فهل لك أن أجيز عنك ؟ قال : وهل عندك ذلك ؟ قالت : نعم ، قال : فافعلي ، فقالت :

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا   كرام يعاطون العشيرة سولها

فحمي الشيخ وقال :

وقافية مثل السنان رزئتها   تناولت من جو السماء نزولها

فقالت :

يراها الذي ينطق الشعر عنده   وتعجز عن أمثالها أن يقولها

فقال حسان : لا أقول بيت شعر وأنت حية ، قالت : أوأؤمنك ؟ قال : وتفعلين ؟ قالت : نعم ، لا أقول بيت شعر ما دمت حيا »[1] .

ومن الإجازات العجيبة ، إجازة كعب بن زهير – وهو غلام – لأبيه زهير بعد أن أجبل هو والنابغة الذبياني في نصف بيت ، وذلك عندما مدح زهيرٌ النعمانَ بن المنذر بقوله :

تراكَ الأرض إما متّ خفا   وتَحيَى إنْ حَييتَ بها ثقيلا

نزلتَ بمستقرّ العـز منها   . . . .

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٣٠٧ . والموشح صـ ٧٨ ، ٧٩ .

ثم أجبل ، فقال كعب : * فتمنع جانبيها أن يزولا *

فأكمل البيتين بشعر عذب جميل ، فضمه إليه أبوه وقال : أشهد أنك ابني(١).

*وقريب من دور الإجازة ، دور الدفاع الشعري عن الآباء الشعراء – وهذا في الهجاء خاصة – وتمثل هذا الدفاع في بعض مواقف الهجاء في عصور الشعر المتلاحقة ، ويمثله دور ابنة الشاعر ابن الرقاع « وكانت تقول الشعر ، وأتى أباها ناس من الشعراء ليماتنوه (ليعارضوه في الشعر) ، وكان غائباً عن منزله ، فسمعت بنتُه ، وهي صغيرة لم تدرك ، ذَرْواً من وعيدهم ، فخرجت إليهم وهي تقول :

تجمّعتُمُ من كل أوبٍ وبلدةٍ ... علي واحدٍ ، لا زلتُمُ قِرْنَ واحدِ ! !

فانصرفوا عنه ولم يهاجوه »(٢) .

ويتمثل هذا أيضاً في دفاع ابن « الراعي » عن أبيه بعد أن فضّل الفرزدق على جرير ، فغضب جرير « والراعي يعتذر إليه ، وأقبل ابن الراعي جَنْدَل – وكان فيه خَطَل وعُجْب – فقال لأبيه : ألا أراك تعتذر إلى ابن الأتان ! نعم ، واللهِ لنُفَضِّلَنَّ عليك ، ولنَزْوِيَنَّ هجاءَك ، ولنهجونّك من تلقاء أنفسنا . وضرب وجه بغلته وقال :

---

(١) انظر القصة بتمامها في الموشح صـ ٥٩ ، ٦٠ ، أمالي المرتضى١/٩٧ ، ٩٨ .

(٢) الشعر والشعراء ٢ / ٦١٨ .

أَلم تَرَ كلب بني كُليبٍ أراد حياضَ دجلة ثم هَابَا [1] .

والقصة طويلة ، وفيها أن ذلك كان سبباً في هجاء جرير للراعي بالقصيدة التي أحزنته ، بل قالوا : إنه مات كمداً لما سمعها .

(١) طبقات فحول الشعراء ٢ / ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

الفصل الثاني

لمحات الشعر النقدية

في العصرين : الجاهلي وصدر الإسلام

تمهيد

آثرنا أن نطلق على الظواهر النقدية في هذه الفترة « لمحات » ، ولم نطلق عليها قضايا ؛ لأن النقد في هذه الفترة لم تكن له ملامح فكرية تؤهل نقاده للبحث العميق ، ودقة التفاصيل ، فالنقد في هـذه الفتـرة – باستثناء حكم أم جندب ، وحكم عمر – رضي الله عنه – اعتمـد علـى الحس ، والفطرة ، والذوق ، ولم يتطرق إلى التعليل والتفسير والتحليل ، فهو نقد « قائم على الإحساس بأثر الشعر في النفس ، وعلى مقدار وقـع الكلام عند الناقد ، فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفاً ، والعربـي يحس أثر الشعر إحساساً فطرياً لا تعقيد فيه ، ويتذوقه جبلة وطبعاً . وعماده في الحكم على ذوقه وعلى سليقته ، فهما اللذان يهديانه إلى الجيد من فنون القول ، وإلى المبرّز من الشعراء . فليست لديه أصول مقـررة للكلام الجيد كما عند المحدثين مثلاً ؛ وليست لديه مقاييس يأتنس بها فـي المفاضلة بين الشعراء . ليس لديه غير طبعه وذوقه »[1] .

وامتدت طبيعة هذا النقد في عصر صدر الإسلام أيضـاً « فظـل مستمراً في عهد البعثة الإسلامية ، وأن العرب لم يكفوا عن النظر فـي الشعر والمفاضلة بين الشعراء ، ...... وظاهر أن هذا النقـد لا يـزال فطرياً ، فلم نجد أحداً أبان عما أعجب به في الشـعر ، أو ذكـر سـبباً لتفضيل شاعر »[2] .

---

(١) تاريخ النقد عند العرب – طه أحمد إبراهيم صـ ٢٣ .

(٢) المرجع نفسه صـ ٣٣ .

وارتكزت النظرات النقدية على دعامتين أساسيتين هما : النظرة في الشعر ، والحكم على الشاعر « فإن لم يتعرض الجاهلي – ومثله الإسلامي – في النقد للشعر تعرض للشاعر فآثره على غيره ، أو وازنه بغيره من الشعراء ... هذان هما الميدانان اللذان جال فيهما النقد جولات خفيفة في العصر الجاهلي – وكذا الإسلامي – : الحكم على الشعر والتنويه بمكانة الشعراء ، فأما غير ذلك من البحث في طريقة الشاعر ، أو مذهبه الأدبي ، أو صلة شعره بالحياة الاجتماعية ، فذلك ما لم يعرفه العصر الجاهلي – ومثله العصر الإسلامي – وغاية نقدهم أن يأخذوا الكلام منقطعاً عن كل مؤثر ، بل منقطعاً عن بقية شعر الشاعر ويتذوقونه وفاقاً لسليقتهم ، ثم يُفصحون عن رأيهم »[1] .

ولم يكن الشعراء – والنقاد منهم خاصة – بمعزل عن الحركة النقدية ، وإنما انغمسوا فيها انغماساً ، بل كان كثير منهم تُعقد له الرايات في الأسواق والمجالس – كالنابغة الذبياني – ليحكم على الشاعر وشعره ويضعه وشعره في موطنه الصحيح بين أقرانه .

وكان العرب يعرفون قدر الشعراء بينهم ، ويرون فيهم ما لا يرون في غيرهم من الناس ، فهم لسان أقوامهم ، ورسلهم في الشفاعة ، وسيفهم الصارم في الدفاع عن حماها ؛ ولهذا قدّموه على الخطيب ، « قال عمرو بن العلاء : كان الشاعر في الجاهلية يُقَدّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يُقيد عليهم مآثرهم ، ويفخّم شأنهم ، ويُهوّل على عدوهم ومن غزاهم ، ويُهيِّب من فرسانهم ويُخوّف من كثرة

---

(١) تاريخ النقد عند العرب – طه إبراهيم صـ ٢٢ .

عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر »(١) .

وكما حفلوا بالشاعر ، حفلوا بشعره ، ورأوا فيه أشياء فوق الألفاظ ، فما « كانت الألفاظ عند العربي مجرد أصوات يقذفها اللسان ، وإنما كانت وسائل حاسمة للتأثير في سامعيها وفي اجتذاب من يخاطب بها أو تغني له . من أجل ذلك كان صانع هذه الأغاني شاعرا أي صاحب دراية وعلم . وكان له في رأيهم معارف سحرية خارقة للعادة »(٢) .

*** وللشعراء آراء نقدية كثيرة مبثوثة في كتب الأدب واللغة ، ولا يعدم الناظر فيها آراء ونقدات في كل عصر ومصر ، وقد أشار المرحوم الأستاذ / طه أحمد إبراهيم إلي كثير منها في كتابه « تاريخ النقد عند العرب من العصر الجاهلي الي القرن الرابع الهجري » كما جمعها ودرسها الدكتور / عبد الجبار المطلبي في كتابه « الشعراء نقادا »

وكلاهما عمد إلى آراء الشعراء في أشعار غيرهم بكثرة ، وإلى آراء الشعراء في أشعارهم بقلة ؛ ولهذا جاء بحثنا بعيدا عن اتجاهات الباحثين السابقين ؛ إذ البحث يعني بآراء الشعراء النقدية في أشعارهم وأشعار أهليهم من الأبناء والإخوة .

وقد تركزت خطرات الشعراء في هذه الفترة حول عدة محاور سندرسها بالتفصيل فيما يلي :

---

(١) البيان والتبيين – الجاحظ ١ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٢) تاريخ النقد عند العرب – طه إبراهيم ص ١٥ .

١- الاعتراف بالشاعرية والإشادة بها .

اعترف بعض الشعراء بنبوغهم الشعري ، وأشادوا بشاعريتهم في هذه الفترة ، وهم لم يذكروا مصطلح « الشاعرية » ، وانما ألمحوا إليـــه بعبارات توحي بمعرفتهم بهذا النبوغ الكامن داخل كل شاعر ، ومحاولـــة إظهار أنفسهم بالتفوق في هذا العلم الذي برعوا فيه دون غيرهم .

نجد ذلك في اعتراف حسان بن ثابت – رضي الله عنه – بنبوغه في الشعر ، والإشادة بشاعريته ، وذلك عندما « دعا النبي – صـــلي الله عليه وسلم – بحسان بن ثابت فقال : أجب عني ، فأخرج لسانه فضـــرب به أرنبته ؛ ثم قال : والذي بعثك بالحق ، ما أحب أن لي به مقـــولا فـــي معد ؛ ولو أن لسانا فري الشعر لفراه (يفري الشعر : يمحوه)»[١] .

ويتكرر هذا الاعتراف بالنبوغ والشاعرية من حسان ، ولكن هذه المرة نراه يشيد بشاعرية طفله – أو قل بميلاد شاعريته – عبد الـــرحمن عندما « لسعه زنبور فجاء أباه يبكي ، فقال له : مالك ؟ فقال : لســـعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة . قال : قلت والله الشعر »[٢] .

ويرد خبر حسان وابنه مرة أخري في أسرار البلاغة باختلاف يسير في الرواية ، حيث رجع عبد الرحمن إلي أبيه « حسان وهو صـــبي، يبكـــي

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي اسحاق الحصري ٢٦/١. وفي العقـــد ٥/ ٢٧٨ – أنه قال : والله يا رسول الله إنه ليخيل إلي أني لو وضعته علي حجر لفلقه ، أو علـــي شعر لحلقه . فقال النبي– صلى الله عليه وسلم–:أيد الله حسان في هجوه بروح القدس.

(٢) الكامل – تأليف أبي العباس المبرد ١– ٣٤٢ – تحقيق د/ محمد أحمـــد الـــدالي – مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـــ = ١٩٩٧ م .

ويقول : لسعني طائر ، فقال حسان : صفه يابني ، فقال : كأنه ملتف في بردي حبرة . وكان لسعه زنبور ، فقال حسان : قال ابني الشعر ورب الكعبة »[1] .

فاعترف حسان بشاعرية ولده ، ونبوغه في الشعر – علي الرغم من نثرية الكلام – تيمنا بصفاء طبع ولده ، وتدفق شاعريته ، وهذا ما جعل عبد القاهر الجرجاني يعجب بهذا التشبيه في كلام الصبي ؛ ويجعله معيارا للطبع والنبوغ ، فقال : « أفلا تراه جعل هذا التشبيه مما يستدل به علي مقدار قوة الطبع ، ويجعل عيارا في الفرق بين الذهن المستعد للشعر وغير المستعد له ، وسره ذلك من ابنه كما سره نفس الشعر حين قال في وقت آخر :

الله يعلم أني كنت منتبذا   في دار حسان أصطاد اليعاسيبا [2].

والفرق في النقد واضح بين الناقدين – حسان وعبد القاهر – حيث لم يعلل حسان لهذه الجودة ، ولم يضع معايير للطبع الشعري كما فعل عبد القاهر في الإشارة الي جمال التشبيه ، ومقدار قوة الطبع ، والفرق بين الذهن المستعد للشعر وغير المستعد له – وهذا شيء واقعي فالناقدان

---

(١) ، (٢) أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني ص ١٩١ – تحقيق / محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة – الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .

لا يرجعان لعصر واحد ، ولا لطبيعة واحدة ، مما يجعلنا نعيد القول بأن لكل عصر أسسه النقدية وطريقته المتفقة وروحه .

ومن الشعراء الذين أشادوا بشاعريتهم ، سحيم عبد بني الحسحاس، « واسمه سحيم ، وكان حبشيا معلطا (بوجهه خطوط) قبيحا، وكان شاعرا محسنا ، وربما أنشد فيقول : أحسنك والله ، ! يريد : أحسنت والله »[١] .

فهو يشيد بشاعريته – علي الرغم من اللكنة التي كانت تلازمه في بعض الحروف ، كالتي مرت في كلامه من إبداله التاء كافا .

* وقد يتبع الاعتراف بالشاعرية وضع الشاعر نفسه في طبقة عالية أو في ترتيب مناسب مع الشعراء الأقران ، كما فعل لبيد بن ربيعة، روي ابن سلام قال : « وأخبرني أبان بن عثمان البجلي قال : مر لبيد بالكوفة في بني نهد ، فأتبعوه رسولا يسأله : من أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل . فأعادوه إليه ، قال : ثم من ؟ قال : الغلام القتيل – وقال غير أبان : ابن العشرين – يعني طرفة – قال : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل – يعني نفسه »[٢] .

فامرؤ القيس أشعر الناس ثم يليه طرفة ، ثم يليه لبيد ، فالشاعر هنا وضع نفسه في المرتبة الثالثة ، وليس في الطبقة الثالثة ، « فامرؤ القيس من الطبقة الأولي ، وهو أشعر الناس ؛ لسبقه إلي أشياء ابتدعها ،

---

(١) الشعر والشعراء ١ / ٤٠٨ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ١/٥٤ ، العمدة ١/ ٩٥ ، الشعر والشعراء ١/ ١٨٩ – مع اختلاف يسير في النص ، العقد الفريد ٥/ ٢٧١ – وفيه أنه قال : أنا .

واستحسنها العرب ، واتبعته عليها الشعراء ، من استيقافه صحبه في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ »[1] .

وطرفة « أجودهم طويلة ، وهو القائل :

* لخولة أطلال ببرقة ثهمد *

وله بعدها شعر حسن ، وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد إلا القليل ، قال أبو عبيدة : وهو أجودهم واحدة ، ولا يلحق بالبحور ، يعني امرأ القيس وزهيرا والنابغة ، ولكنه يوضع مع أصحابه : الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل » [2] .

وتأتي مرتبة لبيد بعد هذا الترتيب ، فقد كان « من شعراء الجاهلية وفرسانهم ..... وله شعر جيد ، وأشياء سبق إليها فأُخذت منه ..... ولبيد أول من شبه الأباريق بالبط ، فأخذ ذلك منه ، قال يذكر الخمر :

تُضَمَّنُ بِيضاً كالإِوَزِّ ظُروفُها ... إذا أَتْأَقوا أعناقها والحواصلا

فأخذه بعض الضبيين (ابن الطثرية) فقال :

ويومٍ كظِلِّ الرمح قَصَّرَ طُولَه ... دَمُ الزِّقِّ عَنَّا واصْطِفاقُ المزاهرِ

كأنَّ أباريقَ الشَّمولِ عَشِيَّةً ... إِوَزٌّ بأعلى الطَّفِّ عوجُ المناقرِ [3].

---

(١) الشعر والشعراء ١/١٠٥ وما بعدها .

(٢) الشعر والشعراء ١/ ١٨٥ ، ١٩٠ .

(٣) المصدر نفسه ١ / ٢٧٤ وما بعدها (بتصرف يسير) .

وكان لبيد منصفاً في ترتيب نفسه بعد هذين الفحلين الكبيرين ، ولم يبالغ في شاعريته كما فعل الحطيئة ، عندما اعترف بشاعريته ، ووضع نفسه موضعاً مبالغاً فيه في الترتيب ؛ فجعل نفسه أشعر السابقين واللاحقين ، وذلك في عدة مواقف :

الأول : مرّ الحطيئة بالنّضّاح بن أشيم الكلبي ، فقال له النضاح : إن لَنَا جِدَةٌ ولك علينا كرامة ، فقال الحطيئة : أنا أغير الناس قلباً ، وأشعر الناس لساناً ، فَانْهَ بنيك أن يُسمعوا بناتي الغناء (١) .

فالحطيئة في هذا الخبر جعل نفسه أشعر الناس ، ولم يحدد مقصده بالناس ، وأرى فيه مبالغة واضحة .

الثاني : ودخل الحطيئة على عتيبة بن النهاس العجليّ في عباءة ، فلم يعرفه عتيبة ، ولم يسلّم عليه – وكاد يرده أول أمره لولا إنذار قومه له وتحذيرهم من شره – فأجلسه ثم سأله : من أشعر العرب ؟ فقال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عِرضه ... يفره ومن لا يتق الشتمَ يُشْتَمِ

يعني زهيرا (وفي الأغاني : فقال له عتبة: إن هذا من مقدمات أفاعيك)، قال : ثم مَنْ ؟ : قال : الذي يقول :

من يسأل الناس يحرموه ... وسائلُ الله لا يخيب

---

(١) المصدر نفسه ١ / ٣٢٦ .

يعني عَبيدا ، قال : ثم من ، قال : أنا ، فأكرمه عتيبة [1] .

فلم يكتف الحطيئة بأنه أشعر الناس ، وإنما جعل ترتيب نفسه الثالث بعد زهير وعبيد ، وتخّطى كثيرا من الشعراء الأفذاذ في الجاهلية والإسلام .

الثالث : أتي الحطيئة مجلس سعيد بن العاصي وهو علي المدينة ، فجلس ولم يعرفه الناس ، فأراد الشُّرَطُ أن يُقيمه ، فقال سعيد : دعوه ، وعندما سمع الحطيئة تذاكر القوم لأشعار العرب قال لهم : «ما أصبتم جيد الشعر ، قال له سعيد : وعندك من ذلك علم ؟ قال نعم ، قال : فمن أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول :

لا أَعُدُّ الإقتار عُدْما ولكن فَقْدُ مَن قد رُزِئْتُهُ الإعدام

يعني أبا دؤاد . قال : ثم من ؟ قال الذي يقول :

أفلِحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغُ بالـ ضّعْفِ وقد يُخْدَعُ اللبيبُ

ــ والبيت لعبيد ــ قال : ثم من ؟ قال : فحسبك والله بي عند رغبة أو رهبة ، إذا رفعتُ إحدي رجليَّ علي الأخرى ثم عويت عواء الفصيل في إثر القوافي ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا الحطيئة ، فرحب به سعيد وأكرمه وأحسن إليه »[2] .

---

(١) انظر : الشعر والشعراء ١/٣٢٤ وما بعدها .

(٢) الشعر والشعراء ١/٣٢٥ ، ٣٢٦ .

وتختلف الرواية في طبقات فحول الشعراء عما سبق ذكره من رواية الشعر والشعراء ، ففي الطبقات أن سعيدا قال له : « فمن أشعر العرب ؟ قال الذي يقول :

قد جعل المبتغون الخير في هرمٍ والسائلون إلى أبوابه طُرُقا

قال ثم من ؟ قال الذي يقول :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

يغني زهيرا والنابغة ، ثم قال : وحسبك بي إذا وضعت إحدى رجليّ على الأخرى : ثم عويت في إثر القوافي كما يعوي الفصيل في إثر أمه ! قال : فمن أنت ؟ قال : أنا الحطيئة . فرحب به سعيد ، وأمر له بألف دينار » [1] .

فاختلاف الروايتين واضح في ترتيب الشعراء ، ثم في موطن إجادة الحطيئة ، فالأولى ذكرت الرغبة والرهبة وجعلتهما سببا في الشاعرية ، والثانية خلت من هذه المواطن وزادت في تحديد العطية بألف دينار .

ويدلي ابن رشيق بدلوه في هذا الموقف ، فيجعل ترتيب الشعراء يبدأ بزهير ، ويثنّي بالنابغة ، ويثلث بالحطيئة ، ويجعل السائل ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ يقول : «سأل ابنُ عباس الحطيئة : من أشعر الناس ؟ فقال الذي يقول :

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/١٢٠ ، ١٢١ .

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ، ومن لا يتق الشتم يشتم

وليس الذي يقول :

ولست بمستبق أخالا تلُمه على شعث ، أي الرجال المهذب ؟

بدونه ، ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا ، والله لـولا الجشـع لكنتُ أشعر الماضين ، وأما الباقون فلا شك أني أشـعرهم ، قـال ابـن عباس : كذلك أنت يا أبا مليكة »[1] .

ويعيب ابن رشيق علي الحطيئة تفرده بتفضـيل أبـي دؤاد دون سائر النقاد ، فيقول : «وهو (أبو دؤاد) وإن كان فحلا قديما وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروي شعره فلم يقل فيه أحد مـن النقـاد مقالة الحطيئة » [2] .

ونحن لا نعيب هنا تباين نظرة الحطيئة للشعراء في التقديم ، وإنما نعيب عليه مغالاته في وضع نفسه في المرتبـة الثالثـة مـن القـدماء السابقين، وتفضيل نفسه علي الشعراء الباقين قاطبـة ، فـذلك اعتـزاز بالنفس ، وغرور لا حدّ له .

وأما اختلاف الحكمين أو تعارضهما لناقد واحد ، فشيء جـائز ، وقـد أرجعه المرحوم الأستاذ طه إبراهيم إلي أن النقد في هذه الفترة (عصـر الجاهلية ، وصدر الإسلام) كان نقدا فطريـا « لا يسـتند إلـي بحـث وتحليل، وإنما هو قائم علي التأثر الوقتي وعلي الانفعال السريع .

---

(١) ، (٢) العمدة ٩٧/١.

ومن الجائز جدا أن يكون للناقد حكمان متعارضان مادام النقد لا يقوم إلا علي التأثر الخالص ، وكثيرا ما يولع ناقد في شبابه بشاعر ، فإذا كبر واحتنك أصبحت روحه غريبة عن روح من كان به مولعا ، وشيء آخر يبعد هذا التعارض ويجعله ظاهريا فقط هو أن «أشعر» تنصرف إلي المعاني أو الغرض الذي يجري به الحديث .

علي هذا تدل النصوص العربية ، فكثيرا ما تذكر كتب الأدب أن فلانا أشعر الناس ، وتتبع ذلك بعبارة : «حيث يقول » [1] .

ويضرب الأستاذ / طه إبراهيم مثلا لتعارض حكمين لناقد واحد ، بحكم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في من أشعر الناس ، فيجعله عمر زهيرا مرة ، والنابغة مرة ثانية ، ولكنه يقرر أن حكم عمر المتناقض هو أول حكم يقابلنا بهذا الشكل ، ونحن لا نوافقه علي ذلك بعد أن أوردنا حكم الحطيئة المتعارض في تفضيل الشعراء ، فربما كان رأي الحطيئة سابقا علي رأي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ .

ونعود إلي الحطيئة فنقرر أنه ربما جاءته هذه العزة ، ولزمه ذلك الغرور ، من متانة شعره ، وقلة الخطأ فيه ، وهذا الحكم وارد فيه أحكام النقاد عليه ، فمنها « أنه من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم في جميع فنون الشعر ، من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مجيد في ذلك أجمع ....ومنها : وما تشاء أن تقول في شعر شاعر من عيب إلا وجدته، وقلّما تجد ذلك في شعره ...ومنها : عن محمد بن سلام وأبي عبيدة قالا :

(١) تاريخ النقد عند العرب ـ طه إبراهيم ص٣٤ ، ٣٥ .

كان الحطيئة متين الشعر شرود القافية ، وما تشاء أن تطعن في شعر شاعر إلا وجدتَ فيه مطعنا ، وما أقل ما تجد ذلك في شعره » [1] .

وكما كثرت الآراء حول متانة شعره ، كثرت كذلك حول دناءة نفسه ، وشره طبعه ، ولؤم نفسه ، وخبث هجائه ؛ ولعل ذلك واضح في شعره ، وفي اعترافه بشاعريته ــ فيما سبق ــ من قوله : عويت كما يعوي الفصيل في إثر أمه عند الرغبة أو الرهبة .

٢ ـ العيوب العروضية :

توجهت آراء النقاد للنظر في سلامة الموسيقي الشعرية ، من وزن وقافية ، فعابوا علي الشعراء الخلل في الوزن ، « قال قدامة بن جعفر الكاتب : من عيوب أوزان الشعر التخليع ، وهو أن يكون قبيح الوزن ، قد أفرط قائله في تزحيفه ، وجعل ذلك بنية للشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلي ما يُنكره حتى يُنعم ذوقه ، أو يعرضه علي العروض ، فيصح فيه ، فإن ما جري من الشعر هذا المجري ناقص الطلاوة ، قليل الحلاوة ؛ وذلك مثل قول الأسود بن يعفر ــ و تروي لغيره : (مجزوء البسيط)

إنا ذممنا عي ما خيّلتْ سَعْدَ بنَ زَيد وعمرا من تميمْ

ومثل قصيدة عبيد بن الأبرص ، وفيها أبيات قد خرجت عن العروض ألبتة، وقبّح ذلك جودة الشعر حتى أصاره إلي حدّ الرديء منه ؛ فمن ذلك قوله : (مخلع البسيط) .

---

(١) الشعر والشعراء ٣٢٢/١ــ هامش رقم (٤) نقلا عن : الأغاني ٤١/٢: ٤٤ .

والحيّ ما عاش في تكذيب طول الحياة لهُ تعذيبُ »[1] .

وعلّق المرزباني على بيت عبيد بقوله : « فهذا معنى جيد ، ولفظ حسن ، إلا أن وزنه قد شانه ، وقبحّ حسنه ، وافسد جيدَه . فما جرى من التزحيف هذا المجرى في القصيدة أو الأبيات كلها أو أكثرها كان قبيحـاً من أجل إفراطه في التخليع واحدة ، ثم من أجل دوامه وكثرته ثانيةً »[2].

والبيت الذي عابه المرزباني من قصيدة طويلة لعبيد بن الأبرص، وصفها ابن قتيبة بأنها « أجود شعره وفيها يقول :

أقفر من أهلها ملحوبُ

وهي إحدى السبع ، وفيها يقول :

وكل ذي نعمة مخلوسـها وكُلّ ذي أمـل مكذوبُ

وكل ذي إبل مـوروثُها وكل ذي سـلَب مسلوب إلخ».[3]

وعلّق محقق الشعر والشعراء علي المطلع ، فقال : « البيت في اللسان ووصفه بأنه « الشعر الذي كسر بعضه » يعني أن عبيدا لم يقـم وزنـه كله، وهذا صحيح »[4] .

---

(١) الموشح ص١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) الموشح صـ ١٠٤ .

(٣) الشعر والشعراء ١/٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٤) المصدر السابق ١/٢٦٨ هامش (٥) .

ومن عيوب الشعر المتعلقة بالقافية ، الإقواء ، وعرفه العلماء بأنه « رفع بيت وجر آخر ، وهو اختلاف المجـري ، والمجـري : حركـة حرف الروي الذي تبني عليه القصيدة »[1].

وضرب المرزباني لهذا العيب كثيرا من الأمثلة ، فمنها قول النابغة :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا ... وبذاك خبرنا الغراب الأسود

لا مرحبا بغد ولا أهلا به ... إن كان تفريق الأحبة في غد

وكقول دريد بن الصمة :

نظرت إليه والرماح تنوشه ... كوقع الصياصي في النسيج الممدد

ثم قال :

فأرهبت عنه القوم حتى تبددوا ... وحتى علاني حالك اللون أسود

ومنه قول حسان بن ثابت الأنصاري :

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر ... جسم البغال وأحلام العصافير

ثم قال :

كأنهم قصب جوف أسافله ... مثقب نفخت فيه الأعاصير [2].

---

(١) الموشح ص ٢٥ .

(٢) الموشح صـ ٢٥ ، ٢٦ .

وقد وقع في هذا الخطأ الشعري الخاص بالقافية بشر بن أبي خازم الأسدي ، فنبّهه أخوه سوادة فلم يعد إليه .

قال أبو عمرو بن العلاء : « فحلان من الشعراء كانا يقويان ، النابغة وبشر بن أبي خازم ، فأما النابغة فدخل يثرب فَغُنّي بشعره ففطِن فلم يعد للإقواء ، وأما بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سوادة : إنك تُقوي، فقال : وما الإقواء ؟ قال : قولك :

ألم تر أن طول الدهر يُسْلي ويُنسي مثلَ ما نُسيتْ جُذَامُ

ثم قلت :

وكانوا قومَنا فبغَوْا علينا فسُقناهم إلى البلدِ الشآمِ

فلم يعد للإقواء »[1] .

وفي الموشح أن سوادة قال له : « أكفأت وأسأتَ . قال : وما ذاك ؟ قال: قلتَ : * كما نسيت جذامُ * ثم قلت : * إلى البلد الشآمي * فقال بشر : قد تبيّنت خطئي ، ولست بعائد »[2] .

فمن ظاهر الرواية نعلم أن بعض الجاهليين كانوا يعرفون الإقواء بهذا المصطلح الذي أقره العلماء فيما بعد ، كما كان بعض الشعراء لا يعرفون هذا العيب ، كالنابغة ، وبشر الذي سأل : وما الإقواء ؟ إلا أن

(١) الشعر والشعراء ١ / ٢٧٠ .

(٢) الموشح صـ ٧٥ .

الشعراء كانوا يستجيبون للنقد الموجه فيلتزمون به إصلاحاً للشعر ، وطلباً للجودة .

ونرى – من خلال الأمثلة التي سقناها – أن الإقواء لا يكون إلا مع الرفع والجر ويمتنع مع النصب والجر ، وذلك « لقرب كل واحد منهما من صاحبه ، ولأن الواو تدغم في الياء ، وأنهما يجوزان في قصيدة واحدة ؛ فلما قربت الواو من الياء هذا القرب أجازوها معها ؛ وهي مع ذلك عيب » [(١)] .

ويرى الأستاذ / طه إبراهيم أن « الإقواء أثر من آثار طفولة الشعر ، ودليل على أن العربي لم يهتد مرة واحدة إلى وحدة حركة الرويّ ..... فذمُّ الإقواء نقد في الجاهلية لأنه يعيب أمراً لعله من آثار طفولة الشعر ؛ نقد لأنه ضعف في الصياغة وتقافر في النغم يؤذي السمع ويذهب بشيء غير يسير من روعة الوزن ؛ نقد لأن حركة الرويّ في القصيدة أدعى إلى أن يكون الشعر منسجماً سائغاً »[(٢)] .

---

(١) الموشح صـ ٢٦ .

(٢) تاريخ النقد عند العرب – طه إبراهيم صـ ١٩ ، ٢١ .

٣) **تقصير القصائد** :

عرف العرب قدر التركيز في الكلمة ، فلم يأبهوا لطول القصائد غير المؤثرة ، ولهذا السبب كثرت المقطعات والقصائد القصيرة في أشعار القدماء ، ولهذا السبب أيضاً حفلوا بالمطوّلات الجيدة ، وأشادوا بها ، وعلّقوها – مع التحفظ في هذا القول – على الكعبة بعد أن كتبوها بماء الذهب وسموها المعلقات .

* وأما القصائد القصار ، فكان للشعر فيها رأي نقدي معلّل ، وترجع علته إلى طبيعة اللفظ والمعنى ، ومناسبة القول ، والاعتماد على الذاكرة في حفظ الأشعار ونشرها في المحافل .

سُئل ابن الزبعري عن تقصير أشعاره ، فأجاب إجابات متعددة ، تدور حول أسباب متقاربة ، قال مرة : «لأنها أعلق بالمسامع ، وأجول في المحافل . وقال مرة : لأن القصار أولج في المسامع ، وأجول في المحافل ، وقال مرة أخرى : يكفيك من الشعر غُـرّة لائحة ، وسُبَّة فاضحة .

ولما سأله أبو سفيان عن ذلك قال : حسبُك من الشعر غُرّة لائحة، وسِمَةٌ واضِحَة »[١] .

وسألتْ بنتُ الحطيئة أباها : « ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ فقال : لأنها في الآذان أولج ، وبالأفواه أعلق »[٢] .

---

(١) زهر الآداب ٢ / ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، العمدة ١ / ١٨٧ ، الصناعتين صـ ١٧٤ .

(٢) الصناعتين صـ ١٧٤ .

فطبيعة العصر ، في الاعتماد على الذاكرة ، وحب انتشار العمل في يسر وسهولة – وبخاصة إذا كان مدحاً أو هجاءً – والتركيز في العمل الشعري ليكون بمثابة الغرة الواضحة ، أو العلامة المشينة التي لا تخفى على أحد – كل هذه الأسباب دعت الشعراء أو كثيراً منهم إلى إيثار القصار أو الإكثار منها ، والاستعاضة بها عن الطوال التي قد تُنسى أو يضطرب فيها الرواة – غالباً – أو تتعدد فيها الأغراض ، فيعلق جزء منها بالأسماع وينتشر وربما يُنسى الجزء الأهم فيها كالمديح أو الهجاء . وتلك نظرة صائبة وفكرة جيدة .

ونحن إذا دققنا النظر في النقد الجزئي لكثير من الأعمال وجدنا تركيز النقاد على جزئيات ، فيقال : أهجى بيت ، وأرثى بيت ، وأحسن المطالع إلى غير ذلك من أحكام جزئية تركز على بيت القصيد .

ومع هذا فقد كان لابن رشيق رأي مخالف لما ذهبنا إليه ؛ حيث فضّل أصحاب الطوال على أصحاب القصار ، ورأى أن « المطيل من الشعراء أهيبُ في النفوس من الموجز وإن أجاد ، على أن للموجز من فضل الاختصار ما ينكره المطيل ، ولكن إذا كان صاحب القصائد دون صاحب القِطع بدرجة أو نحوها وكان صاحب القطع لا يقدر على التطويل إن حاوله بتّة سُوِّي بينهما ؛ لفضل غير المجهود على المجهود ، فإنا لا نشك أن المطول إن شاء جرّد من قصيدته قطعة أبيات جيدة ، ولا يقدر الآخر أن يمد من أبياته التي هي قطعة قصيدة »[1] .

---

(١) العمدة ١ / ١٨٧ ، ١٨٨ .

٤) بواعث الشعر :

تحدث النقاد عن بواعث الشعر المختلفة التي تحث الشعراء على القول،وتحرك فيهم كامن الشعور ؛ فتفيض ألسنتهم بتلك المشاعر الدفينة.

وما أروع قول ابن قتيبة فيها : « وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف ، ومنها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب » [١] .

وأصدق مثال على هذا كثرة شعر المديح في كل عصر من عصور الأدب ؛ لكثرة الهبات والعطايا التي يمنحها الممدوحون للشعراء المادحين لباعث الرغبة .

ويدخل في هذا الباب موقف الشاعر ابن دارة مع عديّ بن حاتم ، صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذلك عندما دخل على عديّ فقال له : « إني مدحتك . قال : أمسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسبه ، فإني أكره ألا أعْطيك ثمن ما تقول ، لي ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث إماء وفرسي هذا حبيس في سبيل الله ، فامدحني على حسب ما أخبرتك . فقال :

تَحن قلوصي في معدّ وإنما ... تُلاقي الربيعُ في ديار بني ثُعَلْ

وأبقى الليالي من عديّ بن حاتم ... حساما كنصل السيف سُلّ من الخَلَلْ

أبوك جواد لا يُشق غباره ... وأنت جواد ليس يُعذر بالعلل

(١) الشعر والشعراء ١ / ٧٨ .

فإن تفعلــوا شراً فمثلكمُ اتّقى وإن تفعلــوا خيراً فمثلكم فَعَلْ

قال عدي : أمسك ، لا يبلغ مالي إلى أكثر من هذا »[١].

فالرغبة واضحة في قول الشعر ، حيث وضع الممدوح ماله بــين يدي المادح ، وطلب منه المديح علي قدر المال ، فالجزاء علــي قــدر العمل ! .

وكما تختلف بواعث الشعر تختلف حالاته مع الشاعر ، فمرة يسهل عليه ، ومرة يصعب عليه ، إذ إن هناك أوقات يصعب فيها الشــعر ، ويتــأبى علي صاحبه كما قال ابن قتيبه : « وللشعر تارات يبعد فيهــا قريبــه ، ويستصعب فيها ريضه . وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامــات والجوابات ، فقد يتعذر علي الكاتب الأديب وعلي البليغ الخطيــب . ولا يعرف لذلك سبب ، إلا أن يكون من عارض يعترض علي الغريزة مــن سوء غذاء أو خاطر غم »[٢] .

وأما أوقات السهولة في الشعر ، وانصبابه علي صاحبه ، فذكرها ابن قتيبه في قوله : « وللشعر أوقات يسرع فيها أتيه ، ويسمح فيها أبيه. منها أول الليل قبل تغشي الكري ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والميسر »[٣] .

---

(١) العقد الفريد ٥ / ٢٩٤ . والخِلل : جمع خِلّة ، وهي جفن السيف بالأدم .

(٢) ، (٣) الشعر والشعراء ١/٨٠ ، ٨١ .

وهذه الأحكام قريبة من الصحة ، ولكنها ليست دقيقة ؛ لأن طبائع الناس مختلفة ، فما يحبه شاعر يبغضه آخر ، وما يُثير شاعرا قد يُخرس آخر . وقد لاحظت كثيرا من هذه الشواهد عند دراستي لشعر السجناء في العصر الحديث ، فرأيت شعراء قد صمتوا طوال مدة حبسهم ، ورأيت أناسا شعروا داخل السجن وأنطقتهم المحن ، فالطبائع لا تخضع لقانون ثابت في الإحساس الشعري .

*** فمن الشعراء الذين تعرضوا للبواعث ، وتحدثوا عنها ، الشنفرى الأزدي ، فقد «قيل له حين أُسر : أَنْشِدْ ، فقال : الإنشاد على حين المسَرّة ، ثم قال :

فـلا تدفنوني إن دفني محرّم ... عليكم ولكنْ خامري أم عامرِ

إذا حملوا رأسي وفي الرأس أكثري ... وغودر عند الملتقَى ثَمّ سائري

هنالك لا أرجو حياة تسُرني ... سميرَ الليالي مُبْسَلا بالجرائر[1] .

فالشنفرى ربط بين الإنشاد الشعري وبين المَسرة ؛ إذ الإنشاء أو النشيد هو ما يتناشده القوم فيما بينهم ، ويكون ــ غالبا ــ في أغراض تسمو بها النفس وتطرب كالغزل ، والفخر ، والمديح . أما الإنشاد في أوقات الفزع فلا تقوي عليها النفس ، وإنما تقوى علي النواح ورثاء الحال ــ وذلك واضح فيما قاله الشنفرى من شعر يرثي فيه نفسه .

---

(١) المصدر نفسه ٨٠/١

وقريب من موقف الشنفري موقف عبيد بن الأبرص الذي قتله المنذر بن ماء السماء يوم بؤسه ، وليس النعمان بن المنذر – كما حقق ذلك محقق الشعر والشعراء – « فقد لقي عبيدا وله أكثر من ثلاثمائة سنة ، فلما رآه قال : هلا كان هذا لغيرك يا عبيد ! أنشدني فربما أعجبني شعرك ! فقال له عبيد : حَالَ الجَريضُ دون القريض (والجريض : غصص الموت)، قال : أنشدتي

أقفر من أهله ملحوب

فأنشد عبيد :

أقفر من أهله عبيدُ فاليوم لا يُبدي ولا يُعيد

فسأله : أي قتلة تختار ؟ قال عبيد : اسقني من الراح حتى أثمَل ، ثم افصدني الأكحل ، ففعل ذلك به ، ولطخ بدمه الغَرِييْنِ »[1] .

فباعث الشعر لم يتحقق لدي عبيد ، بل ألجمه الخوف الشديد ، والفزع من الموت المحقق ، فناح علي نفسه ، وغير معني البيت بما يتفق والموقف الصعب .

ورَبَما يُغير الشاعر من سلوكه ، فلم يعد يحرّكه باعث كما كان يحركه من قبل ، كأن يهجر الشعر لأسباب خلقية وسلوكية قويمة ، كما حدث مع لبيد بن ربيعة العامري الذي ملأ الدنيا بشعره في جاهليته ،

---

(١) الشعر والشعراء ١/٢٦٧ ، ٢٦٨ .

وعندما أسلم لم يقل « إلا بيتا واحـد . واختلـف فـي البيـت ، قـال أبو اليقظان: هو :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي　　　حتى كساني من الإسلام سربالا

وقال غيره : بل هو قوله :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه　　　والمرء يُصلحه الجليس الصالح » [1].

سأله عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ أن ينشده شـيئا مـن شعره ، فما كان من لبيد إلا أن «قرأ سورة البقرة ، وقـال : مـا كنـت لأقول شعرا بعد إذ علمني الله (سورة) البقرة وآل عمران ، فزاده عمـر في عطائه خمس مائة (درهم) ، وكان ألفين . فلما كان في زمن معاويـة قال له معاوية : هذان الفودان فما بال العلاوة ؟ يعني بالفودين الألفـين ، وبالعلاوة الخمس مائة ، وأراد أن يحَطه إياها ، فقال : أموتُ الآن وتبقي لك العلاوة والفودان ! فرق له (معاوية) وترك عطاءه علي حاله ، فمات بعد ذلك بيسير » [2] .

فلبيد لم تعد تحرّكه البواعث التي تَربّي عليها فـي الجاهليـة ، كالشراب ، والطرب ، والغضب ، والطمع ؛ ولهذا صمت الشعر ومـات بداخله ، لأنه نظر للحياة نظرة أخري بعد أن تغلغل الإسلام في قلبـه ، وسري روح الدين في روحه ، فقنع بالقرآن ، ولم يعل به قولا آخر .

---

(١) الشعر والشعراء ١/٢٧٥ ، ٢٧٦ .وورد جزء من الخبر في العقد الفريد ٣٢٧/٥.

(٢) الشعر والشعراء ١/٢٧٥، ٢٧٦ .

ويَبقي لبيد – علي كـل حـال – حالــة فريــدة بــين الشــعراء المخضرمين ، فحسّان بن ثابت استطاع أن يستجيب للبواعث الجديــدة ، فغير من شعره ومقاصده ، وسخره في نشر الدعوة ، والدفاع عن هــذا الدين الجديد الذي ملأ عليه قلبه وسمعه وبصره ، فراح يرتّــل أعــذب الألحان في مديح الرسول ــ صلي الله عليه وسلم ــ ورثاء الشــهْداء ، وهجاء الأعداء ، أي أنه سخر الشعر لمتطلبات الدعوة ، وما أملاه عليه عصره الجديد ، فكان بحق شاعر الرسول ، واستحق الدعاء المبارك من رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ ((اهجهم وروح القدس معــك)) ، ((لا يفضض اللهُ فاك)).

ويمكن أن نضيف هنا موقف الحطيئة مــن شــعره ، واعترافــه بالباعث الحقيقي علي الإجادة فيه ، ألا وهو الطمع أو الجشع (كما ورد عنه سابقا) فالجشع هو الدافع الحقيقي لأهاجيه وأماديحه ، فمن أعطــاه مدحه ، ومن منعه هجاه هجاء لاذعا موجعا ، «وما قصة الزبرقان بــن بدر وآل شماس ، مناوئيه ، ببعيدة ، فهجاؤه للزبرقان ومدحــه لمناوئيــه مثل واضح علي ذلك ، وعقاربه مبثوثة في أقوالــه وأهاجيــه ، وهــي سلاحه ، كما يرى للقدرة علي البقاء . وحسبنا أن نــذكر هنــا ، قولــه للخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ حين نهاه عــن الهجــاء: « إذن يموت عيالي ». فحب العيش في ظروف قست عليه بكل شــيء : بنسبه ، وضعة أمه ، وفي خلقته ، وفقره ، غذي فيــه دوافــع المــديح والهجاء . وحب العيش تعبير يمكن تفسيره هنا بالطمع أو الجشع »[1] .

---

(١) الشعراء نقادا صـــ ٨٣ .

والحطيئة ظاهرة فريدة في العصر الإسلامي الأول ــ فعلي الرغم من إسلامه ، ووجوده في عصر القوة الإسلامية ــ إلا أنه لم يستطع التغلب علي أصالة نفسه المريضة الخبيثة بسبب حياته الاجتماعية ، وظروفه القاسية التي نشأ فيها ، مما يجعلنا نحكم عليه بأنه إنسان غير سويّ مع مجتمعه ، فكانت نفسه تغالبه علي الخطأ فيقع فيه ، مع علمه بأن عقابه السجن في كثير من الأحيان . ومع هذا فهو شاعر فحل وذو شاعرية أصيلة ، وهذه الشاعرية « لو وجدت في ظروفها ما يغذي هذه الدوافع في غير الأماديح والأهاجي لعبرت عن نفسها حرة طليقة » [١] .

٥ ـ النقد الأخلاقي :

اتجه جانب من النقد إلي المنحى الأخلاقي ، فنظر الناقد إلي مكارم الأخلاق ودعا إليها ، وأهاب بالمنقود أن يبتعد عن سفاسفها ، واختلف النقاد ــ الشعراء ــ في هذه النظرة ، وتباينت أحوالهم ، فنظر كل واحد لجانب خلقي يراه مناسبا له ولحاله .

فمن هذا النقد الأخلاقي توجيه لبيد لابنته نحو الفضائل والمكارم ، ونهيها عن التكسب بالشعر ، والتكرار في الطلب .

روي أن لبيد قد آلى علي نفسه في الجاهلية ألا تهبّ الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن ، وألزمه نفسه في إسلامه ، ولما كانت يوم صَبا والوليد بن عقبة يخطب الناس بالكوفة أمر الناس أن يعينوه ، وبدأ بنفسه ، فبعث إليه بمائة بكرة ، وكتب إليه :

---

(١) الشعراء نقادا ص٨٣ .

أري الجـزار يشحذ شفرتيه ... إذا هّبــتْ رياحُ أبي عقيل

أشــمُ الأنف أصيدُ عامري ... طويل الباع كالسيف الصقيل

وفــى ابن الجعفري بجَلْفَتَيْه ... علي العــلات والمال القليلِ

بنحْرِ الكُوم إذ سحبَتْ عليه ... ذيول صَــبَا تجاوبُ بالأصيلِ

ولما كان لبيد لا يقول الشعر بعد إسلامه ــ كما مر بنا ــ قال لابنتــه : أجيبيه فقد رأيتُني وما أعيا بجواب شاعر ، فقالت :

إذا هبــت رياح بني عقيل ... دعوْنا عند هّبتها الوليدا

أشمّ الأنف أصيد عبشميّا ... أعان علي مروءته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركــبا ... عليها من بني حـام قعودا

أبا وهب ، جزاك الله خيرا ... نحرناها وأطعمنا الثريدا

فَعُــدْ إنّ الكريم له معــادُ ... وظنّي يا ابن أروى أن تعودا

ولما كان الإسلام هذّب من طبائع الرجل ، وســرى نــوره فــي روحه، تحولت نظرته النقدية ، فلم يعد يقنع بنقد فني ، وإنما توجه للنقــد الخلقي ، فقال لبيد لابنته :

أحسنتِ ـــ حكم عام مجمل مقتضب ـــ لولا أنك استطعمتيه [1] .
وفي رواية العمدة أكمل من صـــ ٦٠ من الأصل إلى آخرها .

فإنك سوف تحلم أو تناهي ... إذا ما شبتَ أو شاب الغرابُ
فإن تكن الفوارس يوم حِسْيٍ ... أصابوا من لقائك ما أصابوا
فما إن كان من سبب بعيد ... ولكن أدركوك وهم غضاب [2] .

فالنابغة لم يفحش في هجائه ، ولم يقبح ، ولم يهتك الأعــراض ، وإنما جرد الرجل من الخلق الكريم ، كالحلم والعلم والعقل ، ولهذا قـــال عامر لما بلغه الشعر : « ما هجاني أحد حتى هجاني النابغـــة ، جعلنـــي القومُ رئيسا ، وجعلني النابغة سفيها جاهلا وتهكّم بي !»[3].

ومن أجل هذا جعل النقاد للهجاء المقذع علامات ، وجعلوه مـــن أشق الأشياء علي النفس ، قال عمرو بن العلاء : «خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها ...وقال عمر بن الخطاب ـــ رضـــي الله عنه ـــ للحطيئة : إياك والهجاء المقذع ، قال الحطيئة : وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال : المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هـــؤلاء وتبنـــي شعرا علي مدح لقوم وذم لمن تعاديهم ، فقال الحطيئة : أنـــت ـــ والله ـــ يا أمير المؤمنين أعلم منّي بمذاهب الشعر ...وقال خلف الأحمـــر فـــي

(١) الشعر والشعراء ٢٧٦/١ ، ٢٧٧ ، العمدة ١/ ٨٢ ـــ والخبـــر فـــي الكامـــل ٦٣/٣ بتحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم بألفاظ قريبة من هذا .
(٢) ، (٣) العمدة م/١٧١ ، ١٧٢ .

همزية الحطيئة – وهي من أخبث ما صنع – : أشد الهجاء أعفّه وأصدقه ، وقال مرة أخري : ما عفّ لفظه وصدق معناه » [1] .

ويتضح المعنى الأخلاقي بصورة اشمل في عصر البعثة النبوية ، وفي عصر الخلفاء الراشدين ، ومن الظاهر « أن النقد في هذا العهد قد اتسع أفقه ، وتنوعت رجاله ، وجنح إلي شيء من الدقة ، وحاول أن يحدد بعض خصائص الصياغة والمعاني ، وتأثر شيئا ما بروح البناء والتأسيس التي سادت فيما كان يجد أمام المسلمين من شئون التشريع ، وليس عجيبا أن كثيرا من الإعجاب ينصرف في عصر البعثة والخلفاء إلي الشعر الخلقي ، إلي شعر الفضائل والعظات ، إلي شعر المروءة والهمة » [2] .

وفيما قدمنا من موقف لبيد مع ابنته خير شاهد علي تحوّل النقد إلي الجانب الخلقي ، ومنه تجاوب عبد الله بن رواحة مع توجيه الرسول – صلي الله عليه وسلم – وتحويل شعره إلي المنحى الخلقي الذي يرضاه الإسلام .

روي أن الرسول – صلي الله عليه وسلم – سأل عبد الله بن رواحة عن كيفية قول الشعر ، فأخبره عبد الله أنه يشحذ القريحة ثم يقول ، فوجهه الرسول الكريم إلي إيلام المشركين بشعره ، فأنشد عبد الله أبياتا علي البديهة ، ومنها :

فخبروني أثمانَ العباء متى ... كنتم بطاريق أو دانتْ لكُمْ مضرُ ؟

---

(1) المصدر نفسه ٢/١٧٠ ، ١٧١ .

(2) تاريخ النقد عند العرب – طه إبراهيم ص٣٦ ، ٣٧ .

فعرف الكراهية في وجه النبي لما جعل قومه أثمان العباء ، وعندما شحذ عبد الله قريحته ، وفطن لمغزى القول ، وتوجه به توّجها أخلاقيا ، إسلاميا ، فقال :

نجالد الناس عن عرض ونأسرهم   فينا النبيّ وفينا تنزل السورُ
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا   حي من الناس إن عزوا وإنْ كثروا

ثم توجه للنبي المصطفي الكريم بقوله :

فثبت اللهُ ما أعطاك من حَسَن   تثبيت موسي ، ونصرا كالذي نُصروا

وهنا يُقبل النبي عليه بوجهه ، ويدعو له بقوله : وإياك فثبت اللّه يا ابن رواحة [1] .

وفي رواية العقد الفريد :

« أن النبي — صلي الله عليه وسلم — قال لعبد الله بن رواحة : أخبرني ما الشعر يا عبد الله ؟ قال : شيء يختلج في صدري فينطق به لساني. قال : فأنشدني فأنشده شعره الذي يقول فيه :

فثبت الله ما آتاك من حسن   تَفَوُّتَ عيسي بإذن الله والقدر

فقال النبي – صلي الله عليه وسلم – وإياك ثبت الله ، وإياك ثبت الله » [2] .

---

(١) العمدة ١/٢١٠ .

(٢) العقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٥/٢٧٨ — تحقيق وشرح : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري — لجنة التأليف والترجمة والنشر — مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٣ م.

ولم يكن ابن رواحة لينال مثل هذه الدعوة المباركة المستجابة إلا بالتوجه إلي المنحى الخلقي من القول ، حيث افتخر بالمسلمين بأخلاقهم واتباعهم للنبي الأعظم ، ويجرد أعداءهم من هذا الشرف العظيم بدلا من أن يسّب ويلعن .

ولم تكن قريش تجهل هذا المنحى الخلقي في المديح والهجاء ، ولهذا « كانت تجزع كل الجزع من هجاء حسان ، ولا تبالي بشعر ابن رواحة ، وكان ذلك قبل أن تُسلم ، فلما أسلمت رأت في الشعرين رأيا آخر ، فقد كان حسان يطعن في أحسابهم ، ويرميهم بالهنات التي تنال من العزة الجاهلية ... وهم إذن يرون الهجاء المقذع المرّ ما تعرض للحرم والأنساب ، لا ما تعّرض للعقيدة والدين ....ثم أسلموا وكان عبد الله بن رواحة يعيّرهم بالكفر ، فكان شعره يحزّ قلوبهم حزًا » [١] .

ويُلح نقاد العصر الإسلامي علي هذه المعاني ، حتى ولو أبى الشاعر ورأى في المنحى الخلقي جانبا آخر – من وجهة نظره – كما حدث في موقف الحارث بن خالد مع عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – فقد أنشد الحارث بن خالد عبد الله بن عمر أبياته :

إني وما نحروا غداة مني   عند الجمار تئودها العقل

لو بدلت أعلي منازلها   سفلا وأصبح سفلها يعلو

(١) تاريخ النقد عند العرب ـ طه إبراهيم ص٣١ .

فيكاد يعرفها الخبـــير بها   فيرده الإقواء والمحـــل

لعرفت مغناها بما احتملت   مني الضلوع لأهلها قبل

فلما بلغ إلي قوله : لعرفت ...البيت ، قال له ابن عمر : قـل إن شاء الله ، قال : إذا يفسد الشعر يا أبا عبد الرحمن ، فقال ابن عمـر : لا خير في شيء يفسده « إن شاء الله »(١) .

وكان الأجدر بالشاعر أن يستجيب لهذا التوجيه الخلقي بدلا من أن يعتذر بعذر هو أقبح من ذنب !

وربما يستجيب الشاعر للتوجيه الخلقي مع إبقـاء شـعره بـدون إصلاح ، كما حدث في موقف عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – من عبد بني الحسحاس ، وكان « عبد بني الحسحاس يرتضخ لكنة حبشـية ، فلما أنشد عمر بن الخطاب : ــ

عميرة ودع إن تجهزت غاريا   كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر: لو كنت قدمت الإسلام علي الشيب لأجزتك ، فقال : ما سَعَرتُ ، يريد : ما شَعَرتُ » (٢) .

فتلك لمحة أخلاقية من عمر لفت بها نظـر الشـاعر المسـلم ، ووجهه نحو الأفضل في ترتيب الأولويات ، فالإسلام يجـب أن يسـبق

---

(١) زهر الآداب ٢٤٢/١ .

(٢) الكامل ن لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٢٢٥/٢ ــ تحقيق : محمد أبو الفضـل إبراهيم ــ دار الفكر العربي بالقاهرة (ب . ت) .

الشيب في ردع المسلم عن ارتكاب الآثام . ولـم يكتـف عمـر بـذلك التوجيه، بل لوح للشاعر بجائزة كانت من حقه لو التـزم بهـذا الخلـق الإسلامي النبيل ، مما جعل الشاعر يتحسر علي حرمانه منها ، وأجاب : بأنه ما شعر بتلك اللمحة العمرية في ترتيب الأفكار والأولويات ؛ إذ لـو شعر بما شعر به عمر من قوة الإيمان ، وتغلغل الإسلام وأهميته في كل نواحي الحياة لانصرف إلي هذا الترتيب .

ونعود فنلتقي بخبر لبيد مع سائله عن أشعر الناس ، وفـي هـذه المرة في رواية الأغاني [١] ، يربط لبيد بين شاعريته وأصولها الدينيـة التي عاد يرتكز عليها بعد إسلامه ، فيبدأ بترتيب الشعراء هكذا : أمـرؤ القيس ، ثم طرفة ، ثم يثلث بنفسه حين يقول :

إن تقوى ربنا خير نفل   وبإذن الله ريثي وعمل

أحمد الله ولا نـــد له   بيديه الخير ما شاء فعل

ويري بعض النقاد أن وضع لبيد لنفسه في تلك المرتبة « تواضع لم نعهده في الشعراء الكبار.....فالمعيار الديني هنا واضح في التفضيل ، وهو ينسجم مع أيام لبيد الأخيرة في الإسلام حيث وجد في القرآن الكريم تعويضا عن الشعر . فتفضيله لنفسه ، إذن ، لا يراد به إعجاب بشاعريته بقدر ما هو تقدير لنوع معين من الشـعر هـو الـذي يتصـل بالـدين والتقوى » [١] .

---

(١) الأغاني ٣٧٢/١٥ .

(١) الشعراء نقادا ص٧٧ .

تلك هي أهم الخطرات التي خطرت للشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام في أشعارهم وأشعار أهليهم ، وهي خطرات لم تخرج عن روح العصرين من النظرة العجلى ، والحكم العام . فلم يكن النقد الجاهلي — ومعه نقد صدر الإسلام — سوي ملحوظات خاطفة أملتها عليهم أذواقهم وطبائعهم ، ثم التوجه الخلقي الذي رأوه في الجاهلية متفقا مع مكارم الأخلاق ، وفي صدر الإسلام بما عرفوه من الدين الحنيف .

ولم يشذ عن هذه الطبائع والتوجهات النقدية في العصرين سوى أم جندب في موازنتها بين زوجها وعلقمة ، وعمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في تعليله لتفضيله زهير علي الشعراء ، ولنا وقفة قصيرة مع هذين الاستثناءين .

... فأما قصة أم جندب[1] فقد أوردتها كثير من كتب الأدب ، كالشعر والشعراء ، والأغاني ، والموشح ، والموازنة وغيرها من كتب الأدب القديمة ، وتناقلتها كتب الأدب الحديثة بالنقد والتحليل ، وكانت الأحكام فيها متباينة ، ما بين رافض للقصة غير مصدّق لها ، وما بين حاكم عليها بالنقص والتقصير .

ذكرها الأستاذ طه إبراهيم في كتابه « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » ، وبعد أن شكّك في صحتها لأسباب كثيرة منها : كثرة الاشتراك في الألفاظ والمعاني ، وتفضيل علقمة علي امرئ القيس مع تفوق امرئ القيس دائما في وصف الخيل والطرديات ، ومنها الدقة في

---

(١) انظر القصة بتمامها في الشعر والشعراء ٢١٨/١ ، ٢١٩ ، الموشح ص٣٩ : ٤١، الموازنة ٣٨/١ ، ٣٩ ، الأغاني ٢١ / ١٧٤ .

الأحكام التي لا تتفق مع روح العصر الجاهلي بعدها عاد فقـــال : « وإن كان لابد من الاطمئنان إلي شيء من هذه القصّة فإننا نأخذها كما رواها أبو عبيدة من أن شاعرين تحاكما إلي زوج أمرئ القيس دون أن يـــذكر للحكم أساسا . فلا رويّ ، ولا قافية ، ولا وحدة غرض . وهي بهذا تلائم العصر الجاهلي ، وترينا أن النقد لا يزال فطريا ؛ لأن معني علقمة أجود من غير شك من معني امرئ القيس علي نحو ما فهمته الطائية »[١].

ويقرر الرفض مرة أخري ، ويشكك في صحة الدقة في الأحكام ، فيقول : « ثم إن الموازنة علي شريطة الجمع بين ثلاثة أشياء فكرة علي شيء من الدقة لا تتلائم مع الروح الجاهلي في النقد الأدبي . هذا إلي أننا نرتاب في أن جاهليّا يدرك الفرق بين الرويّ والقافية ، ونرتات فـــي أن هذه الألفاظ تستعمل في العصر الجاهلي بمعناها الاصطلاحي »[٢] .

ويعترف بعض النقاد المحدثين بالقصة إلا أنه يري فيها رأيا آخر، وهو أن « حكومة أم جندب تنقصُها الدقة ؛ لأنها اعتمدت علي بيت واحد فقط ، ولم تنظر إلي هدف الشاعر وغايته ، وأين هذه الحكومة من شعر امرئ القيس الذي بلغ المدى في الوصف ، والطرديات ، والصيد ، ممـــا شهد به النقاد والأدباء » [٣] .

وعلي الرغم من هذا الاختلاف وهذه الوجهات المتباينـــة ، فإننـــا نري في القصة رأيا آخر ، مفاده : أن القصة صحيحة ؛ لتواردهـــا فـــي كثير من الكتب الأدبية القديمة المعتمدة علي أيدي رواة ثقـــات ، وهـــي

---

(١) ، (٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب أ ــ طه إبراهيم صــ٢٧ .

(٣) ملامح النقد العربي في القديم ــ د/ عبد الرحمن عبد الحميد علي ١/٣٠ .

تعبّر عن عقلية متفردة اتصفت بها « أم جنــدب » حـين لمحـت دقـة المعني، وأشارت بالتسابق والتباري في معني واحد ورويّ واحد وقافيـة واحدة ليكتمل الحكم ، وهي وإن كانت حكمت علي بيت واحد فتلك طبيعة النقد في هذا العصر الذي لا يعرف النقد المفصّل ، بل إن هـذا الحكـم الجزئي يؤكد لنا اقتراب النقد من روح العصر مع تلك القفزة الهائلة التي لم يعهدها هذا العصر الجاهلي .

وأما ورود تلك المصطلحات كالرويّ والقافية فلا مانع من قبـول مثل هذا التحديد ــ خاصة وقد سبق له نظير[1] في البحث ــ عندما سأل الشاعر بشر بن أبي خازم أخاه : وما الإقواء ؟ فعّرفه له أخوه ، فـامتنع الشاعر عنه . لهذا أري أن القصة صحيحة ، وأن حكم أم جنـدب كـان طفرة من طفرات العصر الجاهلي التي لم تتكرر فيه .

... وأما الوقفة الثانية فهي مع عمر بن الخطـاب ــ رضـي الله عنه ــ حيث سبق في أحكامه روح العصر ، وعدّه النقاد فلتة في تـاريخ النقد لم تتكرر في عصره ، وذلك عندما حكم علـي الشـعراء بمعيـار التحليل والتعليل والموازنة ، وهو شيء لم يعهده عصره [2] .

وهذا النقد السابق لأوانه نبع من شخصية عمر– رضي الله عنه – التي كانت تتمتع بصفات لم توجد في كثير من غيره ، فقد كان « قـوي التمحيص في كل ما يخوض فيه ، صـحيح الاسـتنباط ، موفقـا فـي استخراج الأحكام الشرعية ، وهذه الروح سرت إلي الأدب كذلك ، فأسند

---

(١) انظر البحث صـ

(٢) انظر بعض تلك الأحكام في: الشعر والشعراء ١٤٣/١ ، العمدة ٩٨/١ .

رأيه في زهير إلي أمور محسة ، وأسباب قائمة ،ففضّل زهيـرا لأمـور ترجع إلى الصياغة والمعاني ، وأوردها ما يراه من خصـائص زهيـر فيهما في شيء من التحديد » [1] .

أما ما عدا هاتين القصتين فكان النقد في العصر الجاهلي ملائمـا لروح هذا العصر من دقة الأحكام وتعميمها ، وعدم التحليل والتعليـل أو التعرّض للتفاصيل النقدية التي عُرفت فيما بعد من عصور الأدب التالية.

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ــ طه أحمد إبراهيم ص٣٥ (بتصرف يسير) .

الفصل الثالث

أحكام الشعراء في العصر الأموي

المبحث الأول

الأحكام المكررة

خطا نقد الشعراء لشعرهم في هذا العصر خطوات نحو الموضوعية ، وتحدثوا في قضايا فنية لم تُذكر من قبل فيما درسنا من قضايا (لمحات) ، وذلك بفضل تطور النقد في هذا العصر بسبب كثير من العوامل التي أثّرت فيه ؛ كمجالس الخلفاء والأمراء ، والتشجيع الذي حدا بالشعراء لتجويد أشعارهم لنيل الجوائز وغيرها من العوامل التي بسطنا القول فيها آنفا .

ومع هذا فقد رأى بعض النقاد خلوّ النقد الأموي من الصدق في كثير من الأحيان والمناسبات ، حيث جعل من أهم سمات العصر الأموي « عصبية القبائل ..... فتعصبت القبائل لشعرائها ، فتلونت أحكامها بالأهواء ، وكادت الإجادة الفنية تُنسى أو الأقل تدلف إلى المرتبة الثانية في مفاضلة حكّام الشعر وقضاته بين الشعراء ..... وكذلك التعصب الذي ينشأ من صلات القربى ، كما في روايات أبناء جرير وحفدته ، ومن صلات الود أو البغض ، أو اتفاق الأخباري والشاعر في الهوى والاعتقاد أو مخالفته له » [١] .

ولست الآن في معرض المناقشة لهذا الرأي خصوصاً وأن الحكم فيه عام بين النقاد – شعراء وغير شعراء – وإنما سيتضح بطلان هذا الرأي – أو كثير من جوانبه – عند مناقشة آراء الشعراء وأحكامهم على

---

(١) الشعراء نقاداً صـ ٨٦ .

أشعارهم وأشعار أهليهم ؛ ولسوف نرى كثيراً من جوانب الصدق في تلك الأحكام التي بنوها على الفهم الدقيق ، والعمق الفني في معرفتهم بالشعر وأصوله وموازين نقده .

ولم يتخلّ الشعراء في هذا العصر عن بعض اللمحات القديمة التي مرت بنا في العصرين السابقين ؛ لأنهم لم يتخلصوا من ثقافة الماضي جملة واحدة ، فبقي أثر تلك الثقافة في العصر الأموي ، وتداول الشعراء بعضها في أحكامهم على الشعر ، وسنذكر تلك اللمحات المماثلة قبل الخوض في الأحكام الجديدة التي لم يتعرض لها شعراء العصرين السابقين .

١- الاعتراف بالشاعرية والإشادة بها :

اعترف الشعراء بنبوغهم الشعري اعترافاً ينم عن وعي وفقه للشاعرية وأصولها لديهم ، فلم تعد أحكامهم عامة – في الأعم الأغلب – بل فصّلوا القول فيها ، وبنوا أحكامهم على أدلة وبراهين تؤكد صحة أقوالهم . من ذلك ما روي عن ابن الأعرابي أنه قال : « قيل لجرير : أيما أشعر أنت في قولك :

حيِّ الغداةَ برامةَ الأطلالا ... رسماً تحمّلَ أهلُهُ فأحالا

أم الأخطل في جوابها : « كذبتك عينك » ؟ قال : هو أشعر منّي ، إلا أني قد قلت في قصيدتي بيتاً لو أن الأفاعي نهشت أستاهم ما حكّوها ، حيث أقول :

والتغلبيّ إذا تنحنح للقرى   حكّ استه وتمثّل الأمثالا [1].

وفي العقد الفريد [2]: « وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

والتغلبيّ إذا تنحنح للقِرى   حكّ إسته وتمثّل الأمثالا

ولما قال جرير هذا البيت قال : والله لقد هجوت بني تغلب ببيت لو طُعنوا في أستاهم بالرماح ما حكّوها » .

فاعتراف جرير بشاعرية الأخطل عامة ، بينما اعترافه بشاعرية نفسه اعتراف معلّل بتفرده بهذا البيت الذي شهدت النقاد ببراعته ، وبأنه أهجى بيت قالته العرب .

ونلتقي بجرير مرة أخرى في تفصيل أكثر لتلك الشاعرية الفذة ، فيسأله بعض خلفاء بني أمية عن رأيه في عدد من الشعراء ، فينعتهم بنعوت جيدة ، فيقول لجرير : « فما أبقيت لنفسك شيئاً ! فيقول جرير : بلى ، والله يا أمير المؤمنين ، أنا مدينة الشعر التي يخرج منها ويعود إليها ، ولأنا سبّحتُ الشعر تسبيحاً ما سبّحه أحد قبلي ، قال الخليفة : وما التسبيح ؟ قال جرير : نسبت فأطرفْت ، وهجوتُ فأرذيت ، ومدحتُ فأسنيت ، ورملت فأغزرتُ ، ورجزت فأبحرتُ ، فأنا قلت ضروباً من الشعر لم يقلها أحد قبلي » [3] .

---

(١) الموشح صـ ١٦٤ .

(٢) ٥ / ٢٧٣ .

(٣) الأمالي ، أبي علي القالي ٢/١٨٠ – مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة – دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨٧م .

قال أبو علي القالي تعليقاً على الخبر : « كذا أملى علينا أرذيت ، وهو صحيح ومعناه أسقطت ، لأنه هاجى في زمانه عدّة من الشعراء فأسقطهم غير الفرزدق » [١].

ولم يحاول جرير عند اعترافه بالشاعرية انتقاص الآخرين ، أو تجريدهم منها ، بل كان يضع كل شاعر في موضعه اللائق به فنياً ، يسأله عكرمة ابنه : « يا أبَهْ ، من أشعر الناس ؟ فيقول جرير : أعن أهل الجاهلية تسألني أم أهل الإسلام ؟ فيقول عكرمة : ما أردت إلا الإسلام ، فإذْ ذكرت أهل الجاهلية فأخبرني عن أهلها. فيجيب جرير : زهير شاعرها . يقول عكرمة : فالإسلام ؟ يقول : الفرزدق[٢] نبعة الشعر . يقول عكرمة : فالأخطل ؟ قال جرير : يجيد مدح الملوك ، ويصيب صفة الخمر . قال : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني ، فإني نحرت الشعر نحراً »[٣] .

ويعترف جرير مرة ثالثة بشاعريته ، مع ذكر أسباب ضعف شاعرية الأخطل أمامه ، وذلك عندما سأله ابنه نوح ، وكانا يأكلان : « أأنت أشعر أم الأخطل ؟ فجرض بالتي في فيه – أي غص بها – ورمى بالتي في يده ، ثم قال : يا بني ، لقد سررتني وسؤتني ؛ فأما ما

---

(١) المصدر نفسه ٢ / ١٨٠ .

(٢) النبعة : وجمعها النبع : شجر تتخذ من أعواده القسيّ ، وعودها أصفر رزين ثقيل في اليد – فعنى جرير أن فضل شعر الفرزدق على الشعراء ، كقوس النبع في فضلها على سائر القسيّ .

(٣) الشعر والشعراء ١ / ١٣٨ ، ١٣٩ ، العمدة ١ / ٩٦ .

سررتني به فتعاهدك مثل هذا وشبهه وسؤالك عنه ، وأما ما سؤتني به فذكرك رجلاً قد مات . يا بني ، لو أدركني الأخطل وله ناب آخر لأكلني، ولكنني أعنت عليه بخصلتين – وقال ابن شبّة : ولكن أعانني عليه خصلتان – كبر سنّه ، وخبث دينه »[١] .

ففي هذا الخبر اعتراف بشاعرية الأخطل ، واعتراف بضعف الشاعرية بطول العمر ، ثم التعليل لضعف شاعرية الأخطل في بعض الجوانب بخبث الدين ، ويقصد بها نصرانيته .

ويأخذ الدكتور / المطلبي على جرير هذا المنحنى الديني في النقد، ويعترف بأنه ظلم للشاعرية ، فقد جعل جرير « نصرانية الأخطل مما يدخل في عيوب خصمه ، وربما الحط من شاعريته في معرض الحكم ، وينفي الأخطل نفسه أن تؤثر نصرانيته في تقدير بيت الشعر الذي يقوله إن كان جيداً ، ولكنها ربما تدخلت في الحكم ولولا ذلك ما نفى تأثيرها فقد قال : إن العالم بالشعر لا يبالي ، وحق الصليب ، إذا مر به البيت المعاير السائر الجيد ، أمسلم قاله أم نصراني »[٢] .

.... ومن اتصال الحديث عن الشاعرية ، اعتراف الشاعر بضعف شاعريته أمام قوة الشاعرية لدى الآخر ، فمن ذلك أن « الراعي (النميري) سمع منشداً ينشد :

وعاوٍ عوى من غير شيء رميته ... بقافية أنفاذها تقطر الدّمَا

---

(١) الموشح : صـ ١٦٤ .

(٢) الشعراء نقاداً صـ ٨٧ .

خَروجٍ بأفواه الرواة كأنها قرى هندوانيّ إذا اهتز صمّما

فارتاع له ، وقال : لمن هذا ؟ قيل : لجرير . قال : لعن الله من يلومني أن يغلبني مثل هذا ! »[1] .

فخوف الراعي ووجله من جرير له أساس في الواقع ؛ فجرير كان أشد الشعراء هجاءً ، وكان ينقض على خصمه كانقضاض النسر على فريسته ، وكان جرير يحس بهذا ويفخر به ، قال حجناء بن جرير : « قلت لأبي : يا أبت ! ما هجوت قوماً قطُّ إلا فضحتهم ، (أو قال : أفسدتهم) قال : يا بني ، إني لم أجد بناء فأهدمه ، ولا حسباً أضعفه (أو قال : أصمه) »[2] .

وكان الشعراء يرتاعون لسماع شعره ، بل قبل أن يكمله توقّعاً لشدة إيلامه ، « سمع الفرزدق قول جرير :

ترى الصبيان عاكفة عليها كعُنْفُقَةِ الفرزدق حين شابا

فحزن قبل أن يسمع نصف البيت الثاني ، وضرب بيده على عنفقته توقعاً لعجز البيت »[3] .

... ومما يدل على الشاعرية ، ويزيدها ثراءً ، سيرورة الشعر وعدم سقوط روايته ، إذ السيرورة دليل على العبقرية ونفاذ الشاعرية ،

---

(١) زهر الآداب ١ / ٢٢ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ٢ / ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٣) الكامل ، للمبرد ٣ / ٤٥ .

وعموم شعر قائلها ، قال الأخطل للفرزدق : « أنا والله أشعر من جرير، غير أنه رُزق من سيرورة الشعر ما لم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه ، وهو :

قومٌ إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمهم : بولي على النار

وقال هو :

والتغلبيّ إذا تنحنح للقِرى ... حكّ استه وتمثّل الأمثالا

فلم يبق سقّاء ولا أمة حتى روته . قال الأصمعي : فحكما له (أي في الهجاء) بسيرورة الشعر » (1) .

والأخطل قد جانبه الصواب ، وداخله الانحياز في هذا الحكم ، لأن كثيراً من النقاد ، قد اختاروا بيت جرير على أنه أهجى بيت قالته العرب ، فليست السيرورة وحدها دلالة على جودة الشعر وبقائه ، وإنما لابد من الإجادة الفنية وملاءمة اللفظ للمعنى ، ووقع الغرض في النفس موقعاً لائقاً .

وفي مقابل سيرورة الشعر الجيد ، نرى سقوط الشعر الرديء ، فلا تعتد الرواة به ، ولا تحمله الأيام طويلاً ، بل سرعان ما يزوي بانقضاء قائله ، وذلك كشعر عقبة بن رؤبة بن العجاج ، روي أن « رؤبة بن العجاج قال لابنه عقبة ، وقد أنشده شعراً له : يا بني ، إنك ذَهبان الشعر ! فذهب شعره فما أحد يروي له بيتاً ، ولا يعرف له جامع

(1) العمدة 1 / 181 .

شعر . فإن هذا العجيب من الحكم على الغيب ، فيصح هذه الصحة ؛ ولكنها كهانة عالمٍ وفراسة أب في ابن ، وما علمت أن عقبة هذا ذكر قط إلا في خبر واحد (وهو خبر اجتماعه مع بشار بن برد في مجلس عقبة ابن مسلم) فنقل الناس الخبر وحملوا شعر بشار ولم يحملوا شعر عقبة وسقط إلى السّاعة فما يعرف له منه بيت »[1] .

والسبب – كما قلت – هو الرداءة ، وقلة البهاء والرونق ، فإن الأشعار الجيدة تبقى – سواء انتشرت أم لم تنتشر – والأشعار الباهتة تسقط ، « وأكثر هذه الأشعار الساذجة الباردة تسقط وتبطل إلا أن تُرزق حمقى ؛ فيحملون ثقلها ، فتكون أعمارها بمدة أعمارهم ، ثم ينتهي بها الأمر إلى الذهاب ؛ وذلك أن الرواة ينبذونها ، وينفونها فتبطل . قال الشاعر :

يموت رديء الشعر من قبل أهله   وجيده يبقى ، وإن مات قائله[2] .

---

(1) الموشح صـ ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(2) الموشح : صـ ٤٠٧ .

٢) **العيــوب العــروضيـة :**

وقع بعض الشعراء – شعراء الرجز خاصة – في بعض عيــوب القافية ، فوقع العجاج في بعضها ، ووقع ابنه رؤبة في بعضها ، ولكنهما لم يصلحا هذه العيوب ، ولم يسّمياها في الأشــعار أو التعليــق ، وإنمــا اكتفوا بالإشارة إلى الموطن الذي فيه العيب .

وقع العجاج في السّناد ، وهو « تأسيس بيــت وتــرك الآخــر . والتأسيس هو ألف بينها وبين حرف الرويّ حرف متحرك ، ولا يكــون التأسيس إلا ألفاً ، وهو عيب قلّما جاء » (١).

قال العجاج :

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي

ثم قال : * بسَمْسَمٍ أو عن يمين سَمْسم *

ثم قال : * فخندف هامة هذا العالم *

وكان رؤبة يعيب هذا على أبيه (٢) .

ولم يكتف رؤبة بالعيب على أبيه لوقوعه في هذا الخطأ ؛ وإنمــا رفع شعره فوق شعر أبيه ، وعدّ نفسه أفصح لتحاشيه الوقوع فيما وقــع فيه أبوه ، قال سلمة بن عياش : « قلت لرؤبة يوماً : أبوك أشعر منك . قال : أنا أشعر منه ، هو يقول :

---

(١) المصدر نفسه صــ ٢١ .

(٢) الموشح : صــ ٢١ .

وخندف هامة هذا العالم

قال بن سلام : وقبل هذا البيت :

وغاية الناس وأهل الحُكّم   عند كريم منهم مُكرّم

مبارك للأنبياء خاتم

فأفرط وجاوز السناد مع حذقه ؛ لأنه ساند في بيتين سناداً فاحشاً آخذه الناس عليه »[1] .

ونرى رؤبة يدافع عن أبيه في رواية أخرى ، ويخرجه من الوقوع في هذا العيب فيقول : « إنه كان في لغة أبي : العألم والخأتم – مهموزان »[2] .

فالروايتان متضاربتان ، إحداهما تثبت الخطأ والأخرى تنفيه ، والروايان مختلفان في الموقفين ؛ فلعل رؤبة اعترف بالخطأ مرة حين فضّل شعره على شعر أبيه ، ودافع عن الخطأ مرة أخرى حين فضّله الناس على أبيه فدافع عنه . وربما رويت الأبيات حينها بالروايتين ، ولكني أرجّح أن رؤبة عاب على أبيه هذا الخطأ ؛ لتكرر الرواية بالخطأ ثلاث مرات ، إحداها ما ذكرنا سابقاً ، والأخريان في روايتي عمر بن شبة ، يونس « قال عمر بن شبة : كان رؤبة يغمص على أبيه في قوله:

(١) المصدر نفسه صـ ٢٥٤ .

(٢) نفسه صـ ٢٥٥ .

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي　　　بسَمْسَمٍ أو عن يمين سَمْسَم

ثم قال فيها : * فخندف هامة هذا العالم *

ثم قال فيها : * محمد للأنبياء خاتم * . وكان يرى هذا عيباً ، وهو عيب شديد وقال رؤبة ليونس : أنا أشعر من أبي . قال : بل أبوك أشعر منك . قال : أبي يقول : « يا دار سلمى .... وذكر الأبيات كما قال عمر بن شبة »[1] .

ولم يسلم رؤبة نفسه من الوقوع في الخطأ ؛ غير أنه لم يعترف به ، ولم ينتبه إليه إذ لم يوجهه إلى ذلك أحد ، حيث وقع في خطأ عروضي هو السناد ، وهو « اختلاف كل حركة قبل الرويّ ..... وهو درجات منها : الردف ، الحذو ، التوجيه وهو حركة الحرف الذي قبل حرف الرويّ في المقيد خاصة ، وليس للمطلق توجيه ..... وكان الخليل يقول : تجوز الضمة مع الكسرة ، ولا تجوز مع الفتحة غيرها ، فإن كان مع الفتحة ضمة أو كسرة فهو سناد . والجيد قول طرفة :

أرّق العينَ خيالٌ لم يَقِرْ　　　طاف والركب بصحراء يُسُرْ

وأما القبيح فقول رؤبة :

وقاتم الأعماق خاوي المخْتَرَقْ

(١) الموشح : صـ ٢٥٥ .

ثم قال : * أَلَّفَ شَتّى ليس بالراعي الحَمِقْ *

ثم قال : * مضبورةٍ قرْواء هرْجابٍ فُنُقْ * [١] .

ويجعل النقاد هذا العيب سبباً في قلة فصاحته ، وعدم تفوقه على أبيه ، قال إبراهيم بن شهاب : « حدثنا الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام قال : رؤبة بن العجاج أكثر شعراً من أبيه . وقال بعضهم : إنه أفصح من أبيه . ولا أحسب ذلك حقاً ؛ لأنه قد أُخذ عليه في قصيدته التي أولها:

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المُخْتَرَقْ مشتبهِ الأعلامِ لمّاعِ الخَفَقْ

يَكِلُّ وفدُ الريحِ من حيثُ انْخَرَقْ

ثم قال فيها : * مضبورةٍ قرواءَ هرجابٍ فُنُقْ *

فضم ، وأولها مفتوح »[٢] .

وعلى أية حال فإن الشاعرين وقعا في خطأ كبير ، ولم يوجّه أحدهما الآخر للإصلاح ، ولم يصلح أحدهما من خطئه .

---

(١) المصدر نفسه : صـ ٢٣ .

(٢) الموشح صـ ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، طبقات فحول الشعراء ٢ / ٧٦٢ ، وفيها : أن الذي أخذ عليه ذلك هو أبوه .

٣) **تقصـــير القصائـــد** :

- عرف بعض الشعراء في هذا العصر قدر القصار من الأشعار ، وأجابوا عن تمسكهم بهذا بإجابات تقترب من الإجابات الســابقة ، غيـر أنهم أضافوا إليها بعضاً من آثار العصر الذي يحيونــه فــي الحضــر والبادية .

من هؤلاء الشعراء : عقيل[1] بن عُلّفة ، فإنه سئل مرة : « مالــك لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق »[2] .

وقال في مرة أخرى لما سئل : : « إنما تقول البيــت والبيتــين ، قال : حسْبي من القلادة ما أحاط بالعنق »[3] .

فالإجابة دقيقة وفنية محددة ، مع أنها متأثرة بالبيئة البدوية التــي تحفل النساء فيها بالزينة الذهبية ، ولكنه رأى الجمال الحــق ، والزينــة الحقيقية في القدر الواجب للتزيّن ، والبعد عن المبالغة الممقوتــة التــي تقلب الشيء ضِدّاً ! .

---

(١) شاعر أموي بدوي مجيد مقل ، كان يهجو قومه ، ولقي عمر بــن عبــد العزيــز ، وخبره في معجم الشعراء ٣٠١ ، وله خبر في أمالي المرتضى مع ابنه العملس ، وابنته الجرباء في إجازة الشعر ، وكان من بيت شرف ، وتزوجت بنته الجرباء يزيد بن عبــد الملك توفي سنة ١٠٠هــ . انظر هامش البيان والتبيين ٢ /٤٣٤ .

(٢) العقد الفريد ٢ / ٢٤٣ ، البيان والتبيين ١ / ٢٠٢ .

(٣) أمالي المرتضى ١ / ٣٧٢ . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٩٨م .

ومنهم : أبو المهوش ، فإنه سئل : « لم لا تطيل الهجاء ؟ قال : لم أجد المثل النادر إلا بيتاً واحداً ، ولم أجد الشعر السائر إلا بيتاً واحداً »[1] .

وكلامه واقع ، فإن الأبيات النادرة ، والأمثال السائرة ليست إلا أبياتاً مفردة ، ولم تحفظ الرواة والكتب نوادر طويلة أو أمثالاً طويلة ، وقد رأينا هذا عند الحديث عن سيرورة الشعر ، وكيف سرى بيت جرير سريان النار في الهشيم . كما أن هذه النظرة فنية موضوعية ، فيرى النقاد القدامى قيام كل بيت بنفسه ، يقول ابن رشيق في ذلك : « وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده ، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير ، إلا في مواضع معروفة ، مثل الحكايات وما شاكلها ، فإن بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد ، ولم أستحسن الأول على أن فيه بعداً ولا تنافراً ، إلا أنه كان كذلك فهو الذي كرهت من التثبيج »[2] .

وقد تكررت نظرة القدماء لهذا التفرد في الرواية ، فأثر عنهم كثيراً : أهجى بيت ، أشعر بيت ، أمدح بيت ...... إلخ .

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٢٠٢ ، العمدة ١ / ١٨٧ وفيه أبو المهوس .

(٢) العمدة ١ / ٢٦١ ، ٢٦٢ .

٤) بـــواعـــث الشعـــر :

تحدث النقاد عن بواعث الشعر ، كما تحدث عنها الشـــعراء فـــي العصرين السابقين ، وجمعوها في الرغبـــة ، والرهبـــة ، والطـــرب ، والركوب ، وجمعها ابن عبد ربه ، وجعل مدارها في شـــيئين ، فقـــال : « وأقوى ما يكون الشعر عنـــدي علـــى قـــدر قـــوة أســـباب الرغبـــة أو الرهبة »[١] .

وخاض شعراء هذا العصر في تلك البواعث ، وزادوا عليها أشياء جديدة ، لم تسمع من قبلهم ، كما دار بعضهم في الفلك القديم ذاته ، ومن هؤلاء : أرطاة بن سُهيّة ، سأله عبد الملك : « هل تقول الآن شـــعراً ؟ فقال : (كيف أقول وأنا) لا أشرب ولا أطـــرب ولا أغضـــب ، وإنمـــا يكون الشعر بواحدة من هذه »[٢] .

فعلق الشاعر امتناعه عن الشعر بابتعاده عن التعـــرض لبواعثـــه التي تحث بطيئه ، وتحّرك المشاعر .

وقريب من هذا القول ، قول كثيـــر عـــزة ، عنـــدما مـــر بتلـــك الظروف ، فأبعدته عن البواعث ،فامتنع عن الشعر ، قيـــل لـــه : « لِـــمَ تركت الشعر ؟ قال : ذهب الشباب فما أعجب ، وماتت عزة فما أطرب ، ومات ابن ليلى فما أرغب . يريد عبد العزيز بن مروان » [٣] .

---

(١) العقد الفريد ٥ / ٣٢٧ .

(٢) الشعر والشعراء ١ / ٨٠ ، والعمدة ١ / ١٢٠ ، العقـــد الفريـــد ٥ / ٣٢٧ – مـــع خلاف يسير في الألفاظ الأخيرة .

(٣) العقد الفريد ٥ / ٣٢٦ .

فالشعر شعور وإحساس ، ولكن لابد له من محرّكات تبعث على القول ، وتهيج المشاعر ، فإن خمدت خمدت جذوته .

وجاء قول كثير هذا في أخريات حياته بعد أن جفّت ينابيع الإمداد الشعري لديه ، وهو الذي أضاف إلى البواعث فروعاً أخر في أيام شبابه وصبوته ، وعند توهج مشاعره ، وانبلاج أحاسيسه ، فعرف كيف يستنزل ربة الشعر عند امتناعها ، وعرف كيف ييّسر الصعب منه ؛ لأن الشاعر قد تعتريه أوقات يصعب فيها القول أو يتأبّى عليه .

« قيل لكثير عزّة : يا أبا صخر ، كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر ؟ قال : أطوف في الرباع المُحيلة ، والرياض المُعشبة ، فإن نفرت عنك القوافي ، وأعيت عليك المعاني ، فروّح قلبك ، وأجمّ ذهنك ، وارتصد لقولك فراغ بالك وسعة ذهنك ، فإنك تجد في تلك الساعة ما يمتنع عليك يومك الأطول ، وليلك الأجمع » [1] .

فتلك وصية نفسية مرتبطة بالبواعث الحقيقية ، ولكن هذه المحاولات لمساعدة البواعث في التفتق والانسياب ، وأما إذا جفت البواعث فليس هناك ما يساعد على نضارتها وإنباتها مرة أخرى ! . فذهاب البواعث يذهب بالشعر كلية ، فلا يرجى عودتة ، وأما فتورها ، فتلك أمور عادية تحدث للشعراء ، إذ « لابد للشاعر – وإن كان فحلاً ، حاذقاً ، مبرزاً ، مقدماً – من فترة تعرض له في بعض الأوقات : إما

---

(١) العقد الفريد ٥ / ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، العمدة ١ / ٢٠٦ مع اختصار الرواية .

لشغل يسير ، أو موت قريحة ، أو نبوّ طبع في تلك الساعة أو ذلك الحين »[1] .

ولم يقصد ابن رشيق بموت القريحة ، الموت الحقيقي ، و إلا لامتنع القول على الشاعر نهائياً – كما حدث لكثيّر وأرطاة بن سهية – إذ لو احتال الشاعر في هذه الحالة بأية محاولات لما أفلح في استعادة قريحته الميتة ، وإنما المقصود بموت القريحة – في نظري – هو الفتور المؤقت الذي يحتاج لمساعد نفسي كي يتجدد النشاط في تلك القريحة مرة أخرى .

ولم يغب معرفة هذا الفتور عن الشعراء في هذا العصر ، فتحدثوا عنه ، ومنهم من عالجه – كما حدث لكثير عزة – ومنهم من توقف عند العلم به ، واعترف بهذا الفتور المؤقت الذي سرعان ما يزول بزوال أحد الأسباب التي أشار إليها ابن رشيق ، ثم يعود الشاعر لطبعه مرة أخرى .

روي عن الفرزدق أنه قال : « أنا عند الناس أشعر العرب ، ولربما كان نزع ضرس أيسر عليّ من أن أقول بيت شعر » [2] .

فالفرزدق لم يمتنع عن قول الشعر جملة ، ولكنه كان يفتر من حين لآخر ، ومع هذا فلم يخبرنا بطرق العلاج لهذا الفتور . وعندي أن السبب في هذا جمود عاطفته ، وعدم صدقه في غزله خاصة ؛ إذ لو تمتع بعاطفة المحب لسهل عليه الأمر ، ولوجد في الرياض المعشبة

(١) العمدة ١ / ٢٠٤ .

(٢) البيان والتبيين ١ / ١٣٥ ، العمدة ١ / ٢٠٤ ، العقد الفريد ٥ / ٣٢٧ .

وغيرها علاجاً لهذا الفتور ، وقد مر بنا قول كثير عزة ، ونسوق مثالاً آخر للمحبين ، سئل ذو الرمة : « كيف تفعل إذا انقفل دونك الشعر ؟ فقال : كيف ينقفل دوني وعندي مفاتحه ؟ قيل له : وعنه سألناك ، ما هو ؟ قال : الخلوة بذكر الأحباب »(١) .

قال ابن رشيق معلقاً على هذا الخبر : « فهذا لأنه عاشق ، ولعمري إنه إذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ، ووضع رجله في الركاب ، على أن ذا الرمة لم يكن كثير المدح والهجاء ، وإنما كان واصف أطلال ، ونادب أظعان ، وهو الذي أخرجه من طبقة الفحول » (٢) .

ونحن نوافق ابن رشيق فيما ذهب إليه في صدر كلامه ، ونخالفه في خاتمته التي جعل فيها امتناع ذي الرمة عن المديح والهجاء سبباً في إخراجه من طبقة الفحول . وسأعود لمناقشة هذا الأمر في موطن آخر من البحث .

فالأمر يختلف باختلاف حالات الشاعر ، فقد يسهل عليه الشعر في وقت ، ويصعب أو يمتنع عليه في وقت آخر ، والمهم أن يعرف الشاعر سبب ذلك ، فيكثر من البواعث التي تعينه على القول ، ويمتنع عن الأسباب التي تورده موارد الجفاء .

ذكر العجاج خبراً عن نفسه قريباً من هذا الذي ذكرت ، قال : « لقد قلت أرجوزتي التي أولها :

---

(١) ، (٢) العمدة ١ / ٢٠٦ .

بكيتُ والمختزنُ البكيُّ وإنما يأتي الصِّبا الصبيُّ

أطرباً وأنت قنَّسريُّ والدهر بالإنسان دوّاريُّ

وأنا بالرملة في ليلة واحدة ، فانثالت عليّ قوافيها انثيالاً وإني لأريد اليوم دونها في الأيام الكثيرة فما أقدر عليه » [1] .

فالعجاج لم يفطن لهذا الفتور الذي ألم به ، ولم يحاول أن يتعرف عليه ، فربما كان كبر السن ، أو ضعف الباعث ، أو نفاد الذخيرة اللغوية لديه في جانب ما – خصوصاً وهو من الرجازين الذين يعنون بالغريب – أو غير ذلك من أسباب تتصل بنفسه وشاعريته .

وعندي أن الشاعرية الأصلية لا تموت مادامت البواعث حية ، وإن حدث لها فتور فسرعان ما تستعيد نشاطها وتبعث فتورها على التوهج ، وفي هذا الخبر خير شاهد ، « قال الحجاج للمساور بن هند : مالك تقول الشعر وقد بلغت من العمر ما بلغت ؟ قال : أرعى به الكلأ ، وأشرب به الماء ، وتُقضى لي (به) الحاجة ؛ فإن كفيتني ذلك تركته »[2].

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٢٠٤ .

(٢) العقد الفريد ٥ / ٢٧٤ .

٥) النقـــد الأخـلاقـــي :

تمسك كثير من شعراء العصر الأموي بالشعر الأخلاقي ، الـــذي يدعو إلى مكارم الأخلاق ، ويحث على الفضائل ، وذلك بجانب شـــعراء الخروج على الأخلاق كعمر بن أبي ربيعة فـــي كثيـــر مـــن غزلياتـــه الفاضحة المكشوفة التي تدعو إلى التبذل والخروج على الخلق . ونتيجة لهذا التطور الشعري في فن الغزل الذي قاده عمر بن أبي ربيعة ، تطور النقد الأدبي أيضاً في هذه البيئة الحجازية ، ونهض « نهضة تدل إلى حد ما على رقي في الذوق ، واتساع في الأفق والنظرة ، والتفات إلى بعض جوانب النقد التي لم يلتفت إليها النقاد السابقون ، فظهرت آراء نقدية تقدم لنا صورة حية لطبيعة هذا النقد .... وتمثلت في آراء ابن أبي عتيق في الشعر حيث رأى أن الجمال الفني كامن في الشعر في حد ذاته . ولا يستخدم الشعر كأداة لأغراض عملية ، ولا يهتم بنتائجه ، أسلبية كانت أم إيجابية على صعيد القوانين السائدة »[1] .

ويقصد الدكتور / عبد الحميد جيده ، بخروج ابن أبي عتيق علـــى صعيد القوانين السائدة ، خروجه على الأخلاق في تفضيل شعر ابن أبي ربيعة فنياً مهما كانت النتائج الخلقية ، وذلك في قوله عن شعر عمـــر : « وما عصي الله – جل وعز – بشعر أكثر مما عصيّ بشعر ابن أبـــي ربيعة ، فهو إشارة إلى تحول مقياس النقد عما كان عليـــه فـــي صـــدر

---

(١) في قضايا النقد الأدبي عند العرب – د/ عبد الحميد جيده صـ ٣٣ وما بعدها – دار الشمال للطباعة والنشر – طرابلس لبنان ١٩٨٥م .

الإسلام إلى مقياس آخر يتمشى مع طبيعة الشعر الذي غلب على المجتمع الحجازي المترف »[1] .

وبهذا نرى أن المفاهيم قد تغيرت ، والمقاييس النقدية قد تبدلت ، فإذا كان « مقياس الشعر الذي استوحاه الرسول – صلى الله عليه وسلم – من تعاليم الإسلام وتبناه الخلفاء الراشدون من بعده يتمثل في مدى مطابقته للحق أم عدم مطابقته ، وإذا كان أحسن الشعر بالمفهوم النقدي الإسلامي ما يدعو إلى القيم والفضائل والأخلاق فإن أحسن الشعر عند ابن أبي عتيق الناقد إنما هو الشعر الذي يدعو إلى عصيان الله أو الإغراء به ! »[2] .

ووجد بعض الحداثيين الفرصة سانحة للتأصيل لبعض أسس مذهبهم ، فنرى « أدونيس » يرفع عقيرته مفاخراً بأن النقاد الأولين فصلوا الدين عن الشعر – كما في مقولة ابن أبي عتيق السابقة – ، ويقول : « كان ابن أبي عتيق رائد للفصل بين الشعر والدين ، ويتضمن الفصل بين الشعر والدين فصلاً بينه وبين الأخلاق الدينية . ويتضمن كذلك القول بالامتناع عن مطالبة الشاعر بالكلام عن موضوعات دينية ، بل ويتضمن على العكس من ذلك ، مطالبته ، ولو بشكل غير مباشر ، بالابتعاد عن هذه الموضوعات »[3] .

---

(١) ، (٢) المرجع السابق صـ ٣٦ .

(٣) الثابت والمتحول – أدونيس ٢ / ٣٨ : ٣٩ – نقلاً عن : في قضايا النقد الأدبي عند العرب – د / عبد الحميد جيده صـ ٣٦ .

ويجب ألا نأخذ رأي ابن أبي عتيق – كما أخذه أدونيس – اتجاهاً عاماً ، بل هو تيار فردي ما لبث أن اندثر واندحر ، وظلت « قضية النقد الأخلاقي هي السائدة وهي التي تمثل الذوق العام لارتباطها بالدين ، ووجدت طائفة من النقاد يعارضون شعر عمر بن أبي ربيعة لما فيه من فجور ومعصية . ومنهم أبو المقوم الأنصاري فقد قال : ما عصي الله بشيء كما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة . وإذا كان ابن أبي عتيق أول من قال هذه الكلمة في معرض ذكر محاسن عمر ، فإن ابن المقوم قد استعملها في الطعن على غزله الإباحي الذي يغري بالمعاصي ..... وجملة القول : إن الحكم على العمل الفني (في هذا العصر) ابتدأ يأخذ طريقين : إما الحكم بالطريقة الأخلاقية ، وإما الحكم بالطريقة الجمالية »[1] .

ولم يكن الشعراء – ومنهم ابن أبي ربيعة – بمعزل عن الاتجاه الأخلاقي في الشعر – على الرغم من كثرة أشعاره الماجنة – ، وفي هذا دليل على سيادة هذا الاتجاه وانتشاره ، وفي هذه القصة دليل على ما ذكرت ، روي أن « عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن أبي ربيعة المخزومي فقال له : قد علمتْ قريش أنك أطولها صبوة ، وأبعدها توبة ؛ ويحك ! أمالك في نساء قريش ما يكفيك من نساء بني عَبْد مناف ؟ ألست القائل :

نظرت إليها بالمحصّب من مِنى ... ولي نظر لولا التحرّج عارمُ

---

(١) في قضايا النقد الأدبي عند العرب صـ ٤٠ .

فقلت : أصبحٌ أم مصابيح راهب بدت لك خلف السّجف أم أنت حالم ؟

بعيـدة مهــوى القرط إما لنوفل أبوها ، وإما عبدُ شمسٍ هاشمُ

فقال يا أمير المؤمنين ، فإن بعد هذا :

طلبن الهوى حتى إذا ما وجدْنه صدرْن وهنّ المسلمات الكرائم

(وقال محقق زهر الآداب : روي البيت في الديوان :

طلبن الصبا حتى إذا ما أصبنه نزعن وهن المسلمات الظوالمُ)

فاستحيا منه عبد الملك وقضى حوائجه ووصله »[1] .

ففي إكمال الأبيات بهذا البيت تمسك بـالأخلاق ، وابتعـاد عـن الفواحش ، وانتصار للإسلام ؛ مما جعل عبد الملك يرضى عنــه ، بـل ويجزل له العطاء .

وقد عرف الشعراء كيف يستدرون عطف الحكام في هذا العصـر بالشعر الأخلاقي ، فها هو عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – مـع ما عرف عنه من إقصاءٍ لشعراء المديح ، وعدم إدراجهم في أهل العطاء – يستميله نصيب بن رباح بشعر خلقي رفيع يحمـل معــاني سـامية ، وأخلاقاً إسلامية سديدة ، فيرضى عنه عمر ويعطيه حلية سـيفه ، فقـد « استأذن نصيب بن رباح على عمر بن عبد العزيز فلم يأذن له ، فقال :

(١) زهر الآداب ١ / ٨٠ ، ٨١ .

أعلموا أمير المؤمنين أني قلت شعراً ، أوله الحمد لله . فأعلموه . فأذن له فأدخل عليه وهو يقول :

الحمد لله أما بعـــد يا عمـــر فقد أتتْنا بك الحاجات والقَدَر

فأنت رأس قريش وابن سيدها والرأس فيه يكون السمع والبصر

فأمر له بحلية سيفه »[1] .

ومن عجب أن يتمسك الفرزدق بهذا الاتجـــاه الأخلاقــي ؛ بــل ويضرب به في أعماق الدين ، فيصدر ما يشبه الفتاوى الدينية ، ويقــرّه عليها الحسن البصري – رحمه الله – ويجعلها فتاوى لسائلين عن أحكام دينية .

روي أن الفرزدق « جلس إلى الحسن البصري سنة مائة وعشــر للهجرة ، فجاءه رجل فقال : يا أبا سعيد ، إنا نكون فـــي هـــذه البعــوث والسرايا فنُصيب المرأة من العدو وهي ذات زوج ، أفتحل لنا من غيــر أن يطلقها زوجها ؟ فقال الفرزدق : قد قلت أنا في مثل هذا في شـــعري قال له الحسن : وما قلت ؟ قال : قلت :

وذات حليلٍ أنكحتْها رماحُنا حلالاً لمن يبني بها لم تُطلّقِ

قال الحسن : صدقت .

---

(١) العقد الفريد ٥/٢٩٢ . وانظر : سيرة عمر بن عبد العزيز – عفت وصال حمزة – صـــ ١٧١ وما بعدها ، ففيها أخبار كثيرة عن موقف عمر من الشعراء .

وأقبل رجل آخر إلى الحسن فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول في الرجل يشك في الشخص يبدو له فيقول : والله هذا فلان ، ثم لا يكون هو ، ما ترى في يمينه ؟ فقال الفرزدق : وقد قلت أنا في مثل هذا . قال الحسن : وما قلت ؟ قال : قلت :

ولست بمأخوذ بقول تقوله ... إذا لم تُعنْه عاقداتُ العزائم

قال الحسن : صدقت »[1] .

فهذا الشعر فتاوى فقهية تدل على فهم الفرزدق لها ، وتمسكه بالاتجاه الأخلاقي ، وتقربه به من فقهاء عصره . وقد نظر في البيت الثاني – الفتوى الثانية – إلى قوله تعالى : « لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ..... الآية » [2] .

وتوارث أبناء الشعراء مفاخر آبائهم الشعرية ، ومالوا بها مع كل اتجاه ، فنراهم في العصر الأموي يدافعون عن مخازي آبائهم القديمة ، ويفخرون بالاتجاه الأخلاقي ، نرى ذلك واضحاً في موقف ابن أبي محجن مع معاوية – رضي الله عنه – ، حينما قال له معاوية : « أبوك الذي يقول :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ... تروّي عظامي بعد موتي عروقُها

---

(١) العقد الفريد ٥ / ٣٨٣ .

(٢) المائدة : ٨٩ .

ولا تدفنني بالغلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فقال ابن أبي محجن : لو شئتَ ذكرتُ أحسن من هذا من شعره ، قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسأل الناس ما مالي وكثرتُه وسائل القوم : ما حزمي وما خُلقي

القوم أعلمُ أنّي من سراتهمُ إذا تطيش يد الرِّعديدة الفَرق

قد أركب الهول مسدولاً عساكره وأكتم السّر فيه ضربة العنق [1] .

فنفى ابن أبي محجن زلة أبيه في وصف الخمر وتعلقّه بها بصفات المسلم الحق من كرم ، ونجدة ، وشجاعة ، وكتمان سر .

ويرى بعض النقاد أن أبا محجن تطرق إلى هذا الوصف المحرم إسلامياً بعنصر (اللاوعي) في العمل الأدبي ، وأن الشاعر عوقب بقوله ؛ لأنه مؤاخذ بقوله ، « وقدرة الشاعر على استيعاب عنصر (اللاوعي) في العمل الأدبي قدرة لا تخلو من إرادة ، مهما تكن حدة الانفعال ، ودرجة طغيان التوتر ...... وقد قال ابو محجن لزوجة سعد : والله ما حبسني بحرام أكلته ، ولا شربته ، ولكني صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني يبعثه على شفتي أحياناً ، فيساء لذلك ثنائي ، حبسني حين قلت : (وذكر البيتين في وصف الخمر) فلما أطلقه سعد وقال له : اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء

---

(١) الشعر والشعراء ١ / ٤٢٤ .

تقوله حتى تفعله . قال أبو محجن : والله لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبدا » [1] .

ويعلق الدكتور/ مصطفى عليان على هذه المحادثة بقوله : « وحديث أبي محجن يوضح أموراً على قدر كبير من الأهمية في التجربة الشعرية :

أولها : أن عنصر (اللاوعي) في تسلله إلى العمل الأدبي يقع في حيز إدراك الشاعر ، فهو يحسه ، وقد يطلقه ، وقد يقيده ، تبعاً لظروف الاستجابة له .

وثانيها : قدرة الشاعر على كبح جماح الانفعال ، وهواتف النفس ، وتوجيهها الوجهة المرادة .

وثالثها : وعي الشاعر في اختيار موضوع تجربته »[2] .

ونحن نتفق مع هذه الملاحظة ، إذ إنها تصنع شاعراً إسلامياً يفكر بوعي ، وينطق بوعي ، ويوجه أفكاره وجهة صحيحة تخرجه من دائرة الشك والاتهام .

---

(١) مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي – د / مصطفى عليان صـ ١٦ – دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة – السعودية – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

(٢) المرجع نفسه صـ ١٦ ، ١٧ .

المبحث الثاني

الأحكام التي جدّت في العصر الأموي

جدت آراء نقدية لم يسبق إليها نقاد هذا العصر – شعراء وغير شعراء – ودارت جميعها حول النظرة الفنية للشعر ، فلم تعد إصلاح عروض ، أو الحديث عن الشاعرية وبواعثها ، وغيرها من اللمحات السابقة ؛ بل تعدت إلى التغلغل الفني داخل العمل الشعري ووزنه بموازين الناقد الحاذق الذي يفهم دقائق الفن ، ويعرف أسسه وأصوله ، وسأتحدث عن أهم القضايا التي شغلت الشعراء النقاد ودارت على ألسنتهم أحكاماً على أشعارهم أو أشعار أهليهم .

١- فنون الشعر :

تحدث الشعراء عن فنون الشعر والإجادة فيها ، وفصلوا القول في الإجادة في بعض الفنون والتقصير في الأخرى ، وحاول بعضهم أن يجد لنفسه مندوحة للتقصير ؛ وإن كان هذا ينافي الشاعرية الحقة ، والعبقرية الفذة ، إذ الشاعر الحاذق – كما رآه ابن رشيق هو الذي « يكون متصرفا في أنواع الشعر : من جد وهزل ، وحلو وجزل ، وألا يكون في النسيب أبرع منه في الرثاء ، ولا في المديح أنفذ منه في الهجاء ،ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً في سائرها ؛ فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم ، وحاز قصب السبق ، كما حازها بشار بن برد وأبو نواس بعده »[1] .

---

(١) العمدة ٢ / ١٠٤ .

اعتذر محمد بن مناذر عن قلة مدائحه بقوله وقد سأله رجل مـــن ثقيف : « ما بال هجائك أكثر من مدائحك ؟ فقال : ذلك مما أغراني بـــه قومك واضطرني إليه لؤمك »[1] .

فهذا اعتذار غير موفق ؛ لأنه لم ير الرجـــل إلا حـــين ســـؤاله ، فكيف عرف لؤمه ؟ ثم إن في المديح ترغيب وفوائد ، فكيف يحرم نفسه منها ؟!

وكان نصيب لا يحسن الهجاء أيضاً ، فقال له « مسلمة بن عبـــد الملك : ويحك يا أبا الحجناء ، أما تحسن الهجاء !؟ قال : أمـــا ترانـــي أحسن مكان عافاك الله ، لا عافاك الله ....! »[2] .

ويتعلل نصيب بعلل أخرى في موطن آخر فيقول : « إنما النـــاس أحد ثلاثة : رجل لم أعرض لسؤاله فما وجـــه ذمـــه ، ورجـــل ســـألته فأعطاني فالمدح أولى به من الهجاء ، ورجل سألته فحرمني فأنا بالهجاء أولى منه »[3] .

واعتذار نصيب غير سديد ، فليس المديح كالهجاء ، بل كل فن له طريقة بنائه والاستعداد النفسي للبراعة فيه ، كما أنه لم يوفق في تقســـيم الناس ، وكان الأولى به ألا يسأل – إن كان عفيفاً صادقاً – ومع هذا فقد

(١) العقد الفريد ٥ / ٢٩٦ .
(٢) البيان والتبيين ١ / ٢٠٢ .
(٣) العمدة ١ / ١١٢ .

أعجب ابن رشيق بهذا الكلام ، وعلق عليه قائلاً : « وهذا كلام عاقل منصف ، لو أخذ به الشعراء أنفسهم لاستراحوا واستراح الناس »[1] .

ويعلل العجاج لسوء هجائه بعلل واهية ، يراها – من وجهة نظره – قيماً رفيعة ، وأخلاقاً حميدة ، سأله عبد الملك : « بلغني أنك لا تحسن الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من قدر على تشييد الأبنية ، أمكنه خراب الأخْبية ، قال : ما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزّاً يمنعنا من أن نُظلم ، وحِلماً يمنعنا أن نَظلم . قال : لكلماتك أحسن من شعرك ! فما العز الذي يمنعك أن تُظلم ؟ قال : الأدب البارع ، والفهم الناصع . قال : فما الحلم الذي يمنعك من أن تَظلم ؟ قال : الأدب المستطرف ، والطبع التالد . قال : لقد أصبحت حكيماً . قال : وما يمنعني من ذلك وأنا نجيّ أمير المؤمنين »[2] .

وفي رواية العمدة : « سئل العجاج : لم لا تهجو ؟ فقال : ولم أهجو ؟ إن لنا أحساباً تمنعنا من أن نُظلم ، وأحلاماً تمنعنا من أن نَظلم ، وهل رأيتم بانياً لا يُحسن أن يهدم ؟ ثم قال : أتعلمون أني أُحسن أن أمدح ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا أحسن أن أجعل مكان « أصلحك الله » « قبحك الله » ومكان « حياك الله » « أخزاك الله »[3].

فالتعليل واه ، والأدلة باهتة ، فليس المديح ألفاظ تحية ، كما أن الهجاء لا يقتصر على ألفاظ السبّ.

---

(١) العمدة ١ / ١١٢ .

(٢) زهر الآداب ٢ / ٦٣٤ ، ٦٣٥ .

(٣) العمدة ١ / ١١٢ .

وقد علق كل من الحصري وابن رشيق على هذا التعليل ، فقال الحصري : « وليس كما قال العجاج ؛ بل لكثير من الشعراء طباع تنبو عن الهجاء كالطائي وأضرابه ، وأصحاب المطبوع أقدر عليه من أصحاب المصنوع ، إذا كان الهجو كالنادرة التي إذا جرت على سجية قائلها ، وقربت من يد متناولها ، وكان واسع العطن ، كثير الفطن ، قريب القلب من اللسان ، التهبت بنار الإحسان »[١] .

وتحامل الحصري على أبي تمام واضح ، وتجريده له من الطبع لا يخفى على ذي لب بصير .

ورد ابن رشيق بكلام ابن قتيبة والجاحظ ، فقال : « والهجاء أيضاً بناء وليس كل بان لضرب بانياً لغيره . ورد الجاحظ بأن من الشعراء من لا يجيد فناً من الشعر وإن أجاد فناً غيره ، كما يوجد ذلك في كل صناعة . ومعنى الجاحظ وابن قتيبة واحد ، وإن اختلف اللفظان ، والصواب ما قالا إلا أن يُعرف من الشاعر أَنَف عن قدرة لا تدفع ، وبعد تجربة لا تستراب ، فحينئذٍ »[٢] .

وأرجع الجاحظ هذا التقصير إلى الطبع ، وربط الفنون بحالات الشاعر ، ولم تعجبه ردود الشعراء – وهو محق في هذا – فقال : « وهذه الحجج التي ذكروها عن نصيب والكميت والعجاج ورؤبة إنما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم . وهذا منهم جهل إن كانت هذه الأخبار صادقة . وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في

---

(١) زهر الآداب ٢ / ٦٣٥ .

(٢) العمدة ١ / ١١٢ .

الكلام ، وتكون له طبيعة في التجارة وليست له طبيعة في الفلاحة .... ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر . ومثل هذا كثير جداً . وكان عبد الحميد الأكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا ما لا يذكر مثله ، وقيل لابن المقفع في ذلك ، فقال : الذي أرضاه لا يجيئني ، والذي يجيئني لا أرضاه »[1] .

ورأي الجاحظ أقرب إلى الصواب ، إذ إن كل شاعر قد ركب في طبعه ميل لشيء ما ، وهذا واقع محسّ في القديم والحديث ، وقد تتدخل عوامل أخرى في هذا ، كالبيئة ، و التربية ، وعوامل المجتمع الأخرى .

وإذا لم يحسن الشاعر فناً ، فإنه لا يستطيع الرد على ناقديه ، بل ينزل إلى رأيهم ، فيغير قوله إلى ما يريدون – وقد يكون صواباً – حدّث محمد بن يزيد النحوي ، قال : « كان بلال بن أبي بردة داهية لقناً ، ويقال إن ذا الرمة لما أنشده :

سمعتُ الناس ينتجعون غيثاً ... فقلت لصيدح انتجعي بلالا

تُناخي عند خير فتىً يمانٍ ... إذا النكباء ناوحت الشمالا

فقال بلال : يا غلام ، مرِ لها بقت ونوى ؛ أراد أن ذا الرّمة لا يحسن المدح . فلما خرج قال له أبو عمرو – وكان حاضراً – : هلا قلت له : إنما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها ، كما قال الله – عز وجل –

(١) البيان والتبيين ١ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) يريد أهلها ، وهلا أنشدته قول الحارثي :

وقفت على الديار فكلّمتني   فما ملكتْ مدامعَها القلوصُ

يريد صاحبها . فقال له ذو الرمة : يا أبا عمرو ، أنت مفرد في علمك ، وأنا في علمي وشعري ذو أشباه »[1] .

فضعف ذي الرمة في المديح أوقعه في الحرج ، وربما أضحك منه الحاضرين وحرمه العطاء . وكان على الشاعر نفسه أن يدفع تلك التهمة ولا ينتظر أحداً يدافع عنه ، كما كان على أبي عمرو أن يدفع عنه بعلمه في المجلس ، لا أن ينتظر الخروج ! .

*** ومما يتصل بفنون الشعر ، القول في الرجز والقصيد ، وكان كثير من الشعراء يجمع بينهما ، كما انفرد كثير منهم بفن دون الآخر ؛ معللاً لذلك بعلل واهية تشبه العلل السابقة .

بدأ ذو الرمة حياته بالرجز ، ثم حوّل شاعريته إلى القصيد ، وختم به حياته ، قال ذو الرمة : « قلتُ الرجز فلما رأيتُني لا أقع من الرجلين أخذتُ في القصيد وتركته – يعني العجاج ورؤبة »[2] .

وقال في موطن آخر : « إني رأيتني لا أقع من هذين الرجلين موقعاً ، فعوّلت على الشعر . قال أبو عدنان : فقلت لأبي عبيدة :

---

(١) الموشح ص ٢١٣ .

(٢) الموشح صـ ٢٠٨ ، العمدة ١ / ١٨٥ مع اختلاف يسير في الحكاية .

من يعني بالرجلين ؟ قال : والله ما سألت ، وما خفي عليّ ؛ إنه يعني العجاج وابنه . قال : كان لذي الرمة رجز فلما خشي أن يعرّه عاد إلى القصيد »[١] .

فترك ذو الرمة الرجز لضعفه فيه ، وعدم مطاولة شعرائه ، وهذا جانب ضعف في شاعريته ، وعدم اكتمال لبراعته الشعرية .

وليس كل الشعراء كذي الرمة ، بل كان كثير منهم يجمع بين الفنين ، فكان « جرير والفرزدق يرجزان ، وكذلك كان عمرو بن لجأ راجزاً مقصداً ، ومثله حميد الأرقط ، والعماني أيضاً ، وأقلهم رجزاً الفرزدق »[٢] .

ويرى ابن رشيق أن الرجز أسهل من القصيد ، لذلك « لا يمتنع الرجز على المقصد امتناع القصيد على الراجز ، ألا ترى أن كل مقصد يستطيع أن يرجز وإن صعب عليه بعض الصعوبة ، وليس كل راجز يستطيع أن يقصد ، واسم الشاعر وإن عمّ المقصد والراجز فهو بالمقصد أعلق ، وعليه أوقع ، فقيل لهذا شاعر ، ولذاك راجز ، كأنه ليس بشاعر ، كما يقال خطيب أو مرسل أو نحو ذلك »[٣] .

فتقصير الشاعر في فن ينقص من شاعريته ، ويطعن في كمال نبوغه ، ولهم حالات مختلفة ، فمنهم « من لا يستطيع مجاوزة القصيد إلى الرجز ، ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيد . ومنهم من يجمعهما كجرير وعمر بن لجأ وأبي النجم وحميد الأرقط والعماني ،

---

(١) الموشح صـ ٢٠٨ ، العمدة ١ / ١٨٥ مع اختلاف يسير في الحكاية .

(٢) ، (٣) العمدة ١ / ١٨٥ ، ١٨٦ .

وليس الفرزدق في طواله بأشعر منه في قصاره ...... والشاعر قد تختلف حالاته »[1] .

وتكتمل الشاعرية باكتمال الفنون وإجادتها ، ولهذا عرف التاريخ النقدي الكامل من الشعراء ، ووضع النقاد له أصولاً ، قال ابن رشيق : « والشاعر إذا قطّع وقصّد ورجّز فهو الكامل ؛ وقد جمع ذلك كله الفرزدق ، ومن المحدثين أبو نواس ، وكان ابن الرومي يقصّد فيجيد ، ويطيل فيأتي بكل إحسان ، وربما تجاوز حتى يسرف ، وخير الأمور أوساطها »[2] .

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٢٠٤ .

(٢) العمدة ١ / ١٨٩ .

٢) النقد الفني :

ونقصد بالنقد الفني النظرات الفنية في الشعر بغض النظر عن قائله ، - ديانة وسلوكاً - وبغض النظر كذلك عن الموضوع الذي يعالجه . وهذا هو الاتجاه الثاني الذي بدا في العصر الأموي في قول ابن عتيق السابق الذكر عند إشادته بجودة شعر الغزل عند عمر بن أبي ربيعة .

وقد « التفت النقد العربي منذ وقت مبكر إلى القيمة الفنية للأدب . فقد كان ابن المعتز يستروح شعر أبي نواس ويستنشده في مجالسه ، ولما كلمه ابن الأنباري في ذلك كان مما رد به عليه قوله : ولم يؤسس الشعَر بانيه على أن يكون المبرز فيه من اقتصر على الصدق ولم يقر بصبوة ولم يرخص في هفوة ..... ولما عاب الأخلاقيون امرأ القيس على عهره في شعره ، استفتح قدامة نقد الشعر بقوله : إن فحاشة المعنى في نفسه لا تزيل جودة الشعر فيه ...... ولم يكتف النقد العربي بتقرير ذلك نظرياً ، وإنما قرره عملياً في أكثر من موقف : من ذلك أن يكون الأخطل - وهو نصراني - شاعر الخلافة الإسلامية في فترة من فترات العهد الأموي المتعصب ، وقد فسر الأخطل نفسه هذا الموقف بقوله : إن العالِم بالشعر لا يبالي - وحق الصليب - إذا مرّ به البيتُ المعاير الساير الجيد ، أمسلم قاله أم نصراني »[1] .

---

(١) دراسات في النقد الأدبي والبلاغة - د / عبده عبد العزيز قلقيلـه صـ ٧٥ - دار العلوم - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

هذا ما أقره النقد العربي منذ زمن بعيد ، واتفق معه اتجاه النقد الغربي ، في هذه النظرة ، وأقر النقاد الغربيون ذلك في أقوالهم ، منها ما ذكره « تشارلين » في قوله : « إن ما يهمنا من الشعر هو أن يكون شعراً ، ولا نزن بجناح بعوضة موضوعه الذي يعالجه . ويقول فيكتور هوجو : لا يملك النقد إلا النظرة إلى جودة الأثر الأدبي أو رداءته »[1].

وليس معنا من أحكام الشعراء في هذا الاتجاه إلا النزر اليسير ، وإنما معظم الآراء في أشعار بعيدة عن العهر والفحش ، وقد انصب النقد على جودة الشعر ورداءته من حيث الألفاظ ، والمعاني ، والمعرفة بأسرار البلاغة ، وتكامل الأبيات وتشابهها في المعنى الواحد ، وفي تباري الشعراء والتسابق إلى الأجود من المعاني في الغرض الواحد ، وغير ذلك مما يتصل بالنقد الفني في الشعر .

* قال غيلان بن الحكم : « قدم علينا ذو الرمة الكوفة ، فوقف راحلته بالكناسة ينشدنا قصيدته الحائية ، فلما بلغ إلى هذا البيت :

إذا غيّر النأي المحبين لم يكد ... رسيس الهوى من حبّ مية يبرح

فقال له ابن شبرمة : يا ذا الرمة ، أراه قد برح ، ففكر ساعة ثم قال :

إذا غيّر النأي المحبين لم أجد ... رسيس الهوى من حبّ مية يبرح

قال الراوي : فرجعت إلى أبي الحكم البحتري فأخبرته الخبر ، فقال : أخطأ ابن شبرمة حيث أنكر عليه ، وأخطأ ذو الرمة حيث رجع إلى

---

(١) المرجع السابق صـ ٧٦ .

قوله ؛ إنما هذا كقول الله – عز وجل – (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا)

أي : لم يرها ولم يكد » [1] .

فرجوع ذي الرمة عن قوله إنما هو لجهل منه بأسرار البلاغة الكامنة في التعبير .

* وقيل لرؤبة : « مت يا أبا الجحاف إذا شئت ! فقال رؤبة : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت ابنك عقبة ينشد شعراً له أعجبني ، قال رؤبة : نعم ، ولكن ليس لشعره قِران . يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه . وبعض أصحابنا يقول : قرآن – بالضم – ولا أرى الصحيح إلا الكسر وترك الهمز على بيّنتُ »[2] .وفسر ابن قتيبة القران مرة أخرى بأنه لا يشبه بعضه بعضاً .

وذكر الجاحظ هذه القصة ، وزاد فيها الاستشهاد بقول الشاعر :

مهاذبة مناجبة قِران ... منادبة كأنهم الأسود

وفسّر القران ، بالتشابه والموافقة [3] .

ونقد عمر بن لجأ ابن عم له وعيّره بعدم قران شعره ، وفضل نفسه عليه في الشاعرية ، قال : « أنا أشعر منك . قال ابن عمه :

---

(١) الموشح صـ ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) الشعر والشعراء ١ / ٩٠ .

(٣) البيان والتبيين ١ / ٢٠١ .

وكيف ؟ قال : إني أقول البيت وأخاه ، وتقول البيت وابن عمه ! . قال محمد بن أبي الأزهر : وأنشد عمرو بن بحر :

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه لسان دعيّ في القريض دخيل

قال محمد بن يزيد : والمعنى في ذلك أن قائل هذا البيت أراد أن شعر الذي هجاه مختلف المعاني غير جار على نظم ولا مشاكلة »[1] .

فالنقد هنا موجه للمعنى ، وبالذات ارتباط البيت بأخيه في المعنى والغرض ، وتلك نظرة فنيه متقدمة ، وإن كان ينقصها التطبيق ، حيث اكتفى الشعراء بالتنظير للقضية .

ومن النقد الموجه للمعنى – بسبب جهل قائله بالمعاني – نقد سَلْم ابن قتيبة لقول رؤبة في وصف قوائم الفرس :

* يهوين شتّى ويقعْن وفقا *

أخطأت في هذا يا أبا الجحاف ، جعلته مُقيّدا ! ، فقال له رؤبة : أدنني من ذنب البعير . يريد : أنه يجيد وصف الإبل لا الخيل ، قال الجمحي : ولم يكن رؤبة والعجاج صاحبي خيل ، كانا صاحبي إبل ونعتها [2] .

ومن هذا القبيل – جهل الشاعر بالمعنى – « أن ذا الرمة وقف على مجلس لبني طهية فأنشدهم :

---

(١) الموشح صـ ٤٠٤ .

(٢) انظر : الشعر والشعراء ٢ / ٥٩٦ . وانظر تعليق المحقق .

ضبر رمى روض القذفين متنه   بأعرف ينبو بالحنيين تامك

فقال له حبتر بن ضباب : أسمنت فابتعث ؛ أي ليس هذا مما توصف به النجائب ؛ لأن الرحلة تُعجلها عن السمن . قال : ثم أنشدهم ذو الرمة :

كأنني من هوى خرقاء مطّرف   دامي الأظل بعيد السأو مهيوم

فقال له حبتر : ذاك أكثر لبعره . فقيل لذي الرمة : ألا تهجو بني حبتر ؟ قال : لا ؛ إنهم قوم رماة ، أي يروون الشعر ، ويرمون الرجل بمعايبه ، ويصيبون ما فيه »[1] .

فجهل ذي الرمة أوقعه في الخطأ ، وخوفه أسكته عن الرد .

ولمعرفة الشعراء بالمعاني ، نراهم يدافعون عن الخطأ المروي عنهم ، ويصحِحون اللفظ ليستقيم المعنى ، روي أن منشداً أنشد قول كثير « وكان كثير يسمع :

وقضّين ما قضّين ثم تركنني   بفيفا خريمٍ قاعداً أتلدد

فقال كثير : أنا ما قلت كذا ، أتراني قاعداً أصنع ماذا ؟ قيل : فجالساً ؟ قال : ولا هذا ! أجالساً كنت أبول ، قيل : فما قلت ؟ قال واقفاً. يريد واقفاً على مطيته ، فهذا هو المعروف من عاداتهم »[2] .

---

(١) الموشح صـ ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) الموازنة ١ / ٤٣١ ، ٤٣٢ .

فوضوح المعنى في ذهن كثير ، جعله ينكر في سخرية على الراوي قوله ، ولأن المعنى متوارث منذ الجاهلية ، من لدن امرئ القيس في قوله :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل [1] .

وقول زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجّة فلأيا عرفت الدار بعد توهم [2].

فهو معنى واضح ، وعادة متوارثة لا يخطئ فيها إلا جاهل أحمق .

وإن كان ذو الرمة قد سكت فيما وجّه إليه من نقد سابق ، فإننا نراه يرد على ناقده بردّ يرضاه بعض النقاد ويعيبه البعض الآخر ، وذلك في قصيدته البائية الشهيرة ، قال محمد بن مسلمة بن رَتْبيل : « مرّ رتبيل بذي الرمة وهو ينشد قصيدته البائية ، فاستمع عليه ، فما زال ينشد حتى انتهى إلى هذين البيتين :

تُصغي إذا شدها بالرحل جانحة حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

وثْب المسجح من عانات معقّلة كأنه مستبان الشك أو جَنِبُ

فقال له الرجل : أخطأت يا ذا الرمة . ألا قلت كما قال الراعي !

---

(1) شرح المعلقات السبع ، للزوزني صـ ٩ – دار صادر بيروت ٢٠٠٢ م .

(2) المصدر نفسه صـ ٧٤ .

فلا تُعجل المرء عند البرو	ك وهي بركبتـه أبصَرُ
وهي إذا قام في غـرزها	كمثل السفيـنة أو أوقر
ومصغية خدها بالزمـا	م فالرأس فيها له أصـعر
حتى إذا ما استوى طبّقت	كما طبّق المِسْحَل الأغبرُ

فقال ذو الرمة : لله أنت ! إنما وصف الراعي ناقة ملك ، ووصفت أنـا ناقة مسوقة »[1] .

والحق أن ذا الرمة أخطأ خطأً واضحاً ؛ لأنه جعل الناقـة تثـب بمجرد أن يضع راكبها رجله في الغرز ، فلربما رمت به ودقـت عنقـه قبل أن يثبت ؛ ولهذا كثر نقد وصفه ، وكثر التندر به ، فقد قال أعرابـي حين سمع هذا : « سقط والله الرجل . وقال آخر : أسأتَ ؛ إذا وضع رجله في غرزها فوثبت رمت به فدقت عنقه . وقال أحمد بن أبي طاهر: أراد أن يحتال فلم يصنع شيئا . قال : وقال بعـض رواة ذي الرمـة : أفسدت عليّ شعرك . وذلك أن ذا الرمة كان إذا استضعف الحرف أبدل مكانه »[2] .

(١) الموشح صـ ٢٠٩ .

(٢) المصدر نفسه صـ ٢١٠ وما بعدها .

ولست أرى فرقاً بين ناقة الملك وناقة السوقة في السرعة ، وحسن الأدب مع الراكب ، ولكنه ذو الرمة الجاهل بمعاني الأوصاف ، وحسن موقعها .

ومن نقدات الشعراء الموجهة للمعاني ، عقد الموازنة بين الشعراء ، ومحاولة كل شاعر الفوز برضا المسئول ؛ لوقع معانيه ، وإصابة الغرض الذي فيه أنشدت الأبيات ، من ذلك تلك الموازنة التي عقدت بين نصيب والفرزدق في مجلس سليمان بن عبد الملك : فقد « قال سليمان للفرزدق : أنشدني – وإنما أراد أن ينشده مدحاً له – فأنشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخطبون الريح وهي تلفهم ... إلى شُعب الأكوار ذات الحقائب

إذا رأوا ناراً يقولون ليتها ... –وقد خَصرت أيديهم– نار غالب

فأعرض عنه سليمان كالمغضب ، فقال نصيب : يا أمير المؤمنين ، ألا أنشدك في رويّها ما لعله يتّضع عنها فقال : هات ، فأنشده :

أقول لركب صادرين لقيتُهم ... قفَا ذات أوشال ومولاك قاربُ

قفوا خبروني عن «سليمان» إنني ... لمعروفه من أهل «ودّان» طالبُ

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب [1]

---

(١) الكامل ١ / ١٨٣ ، ١٨٤ .

إن إعراض سليمان عن الفرزدق ليس لرداءة شعره ، وإنما لسوء موقفه ، حيث طلب منه المديح ، فافتخر الفرزدق بحسبه وكرم محتده . وقد وجدها نصيب فرصة سانحة لإرضاء سليمان ، فنفث بهذا الشعر على الوزن والقافية – وإن اختلفت حركتها – فأصاب بغية سليمان .

والموازنة هنا ناقصة ؛ إذ الموازنة الحقة هي ما اتفقت في الغرض ، والغرضان مختلفان ، ومع هذا فقد افتخر نصيب بشعره ، ووصفه بالعلو وإصابة الغرض ، وهذا الشعر « في باب المدح حسن ومتجاوِز ومبتدَع لم يُسبق إليه . وليس شعر نصيب هذا الذي ذكرناه في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر ، وإنما يُفاضَل بين الشيئين إذا تناسبا »[1] .

وعرف الأخطل كيف يصيب قلب ممدوحه في موازنة حقة ، وذلك حين وفد على معاوية ، فقال : « إني قد امتدحتك بأبيات فاسمعها ، فقال : إن كنتَ شبّهتني بالحية ، والأسد ، أو الصقر ، فلا حاجة لي بها ، وإن كنت قلت كما قالت الخنساء :

فما بلغ المهدون للناس مدحةً ... وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضلُ

وما بلغت كفّ امرئٍ متناوَلاً ... من المجد إلا والذي نلتَ أطولُ

فقلْ »[2] .

---

(١) الكامل ١ / ١٨٤ .

(٢) زهر الآداب ٢ / ٩٢٣ .

ووجه استحسان معاوية لأبيات الخنساء ، إنما هو عدولها عن الصفات الحسية الجسدية ، وتناولها الصفات المعنوية (النفسية) كما سماها النقاد واستحسنوها في هذا الباب .

ولقد عرف الأخطل ما يبغيه معاوية من صفة المديح ، فابتعد عن الساذج من الصفات ، وخاض في عمق المعنى المحبوب لدى الممدوح ، وهو لم ينس ثناءه على الخنساء ، لإجادتها في المعنى ، ولم يحرم نفسه من الثناء العطر الذي استحقه بهذا الشعر الجيد ، قال الأخطل : « والله لقد أحسنتْ ، وقد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما ، ثم أنشد :

إذا متّ مات العرفُ وانقطع الندى   فلم يبق إلا من قليلٍ مُصردِ

ورُدّت أكفُّ السائلين وأمسكوا   عن الدين والدنيا بخزن مُجَدّد [1].

فالمعنى جيد ، بل هو بديع في بابه ، ولهذا سكت معاوية عن التعليق على إشادة الأخطل بشعره ؛ إقراراً لحكمه .

ولم يغمط الشعراء حقوق بعضهم ، وتفضيل غيرهم على أنفسهم في تلك الموازنات – خصوصاً إذا أصابت الغرض – فلم ير الشاعر حرجاً في الاعتراف بسبق معارضه ورفع الصوت إحقاقاً للحق ، وإشادة بجودة الشعر .

روي أن « جميل بن معمر العذري اجتمع بعمر بن أبي ربيعة المخزومي، فأنشده جميل قصيدته التي أولها [2] :

---

(١) زهر الآداب ٢ / ٩٢٣ .

(٢) القصيدة في ديوان جميل صـ ٤٨ .

لقد فرح الواشون أن صرمتْ حبلي بثينة أو أبدتْ لنا جانب البُخْلِ

يقولون مهـــلاً يا جمــيل وإنني لأُقسـم ما لي عن بُثينة من مَهْل

خليليّ فيما عشتما هــل رأيتما قتيلاً بكى من حُبِّ قاتله قبلي ؟

فلما أتمها قال لعمر : يا أبا الخطاب ، هل قلت في هذا الرويّ شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم أنشده [1] :

جــرى ناصــحٌ بالودّ بيني وبينها فعرّضــني يوم الحصاب إلى قتلي

فما أنسى م الأشياء لا أنس قولها وموقفــها يومــاً بقارعة النخل

فلما تواقفــنا عــرفت الذي بها كمثل الذي بي حَذْوكَ النعلَ بالنعل

فسلمتُ واستأنست خيفة أن يَرى عدوّ مكاني أو يرى حاسد فعلي

وأقبــل أمثال الدُّمـى يكتَنــفْنَها وكلٌّ يُفَــدي بالمــودّة والأهــل

فقالت وأرختْ جانب السّتر إنما معي فتــكلمْ غير ذي رِقْبةٍ أهلي

فقلت لها : ما بي لهــم من ترقّب ولكنّ ســرّي ليسْ يحمــله مثلي

---

(١) القصيدة في ديوان عمر بن أبي ربيعة صـ ٢٨٠ .

فاستخذى جميل وصاح : هذا والله الذي طلبت الشعراء فأخطأته ، فتعللوا بوصف الديار ، ونعت الأطلال »[1] .

فاعتراف جميل وصياحه إنما كان لإجادة عمر وصف الحالة النفسية للمحبوبين ، وتغلغل الشعر داخل الشعور الدفين عند اللقاء وما يعتريه من وجل واضطراب لا يحسه إلا العاشق ، ولهذا أعجب جميل بل واستخذى ؛ لأنه لم يصف دخيلة نفسه في شعره ، بل اكتفى بوصف الظاهر – كما يفعل معظم الشعراء – وقد أشاد بشعر عمر ، وجعله قاعدة تحتذى في هذا المجال ، وخطّأ من حاد عن هذا بوصف الديار والرحلة .

وكانت الموازنات السابقة جاهزة لدى الشعراء ، فكان كل شاعر يعرض ما يتفق وغرض صاحبه ، وفي بعض الأحيان كان الشاعر يجد صعوبة في نظم ما يوافق قول صاحبه ، وفي هذه الحال يحاول الثاني التفوق على الأول – وإن كلفه ذلك الكثير – .

كان الفرزدق قد «عمل بيتاً ، وحلف بالطلاق أن جريراً لا ينقضه ، وهو :

فإني أنا الموتُ الذي هو نازلٌ   بنفسك فانظرْ كيف أنت محاوله

فاتصل ذلك بجرير فقال : أنا أبو حزرة ، طلقتُ امرأة الخبيث ، وقال :

أنا الدهرُ يُفني الموتَ والدهرُ خالدٌ   فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله [2].

وتفوق جرير واضح ؛ وإصابته المعنى لا يحتاج لدليل ، وقد عرف كيف

(١) زهر الآداب ١ / ٥٥٦ ، ٥٥٧ .

(٢) زهر الآداب ٢ / ٨٥٦ .

يسد الطريق على خصمه ، ويطلق منه زوجته ، وذلك لثقافته وإجادة الغرض ، « وقد أخذ جرير هذا المعنى من قول عمران بن حطان :

لم يُعجز الموتَ شيء دون خالقه والموت فانٍ إذا ما غاله الأجل

وكل كرب أمام الموت منقطع بالموت ، والموت فيما بعده جَلَلُ[1].

وهنا يبدو تفوق الآخذ من المأخوذ منه ، فجرير هضم المعنى ولخصه وزاد عليه . ولم يكن هذا الصنيع سهلاً على جرير ، فكان جرير « يتمرغ في الرمضاء – عند سماع قول الفرزدق – ويقول : أنا أبو حزرة ، حتى قال هذا البيت »[2] .

والحق أن جريراً كان « لا يباري في جميع الموضوعات التي تتصل بدقة الأحاسيس ورقة المشاعر ، وهو لذلك يسبق الأخطل والفرزدق في الرثاء والغزل وعواطف الزوجية والأبوة ، وهو كذلك يسبقهما في الهجاء الخالص إذ كان يعرف كيف يريش سهامه ويسددها إلى نحور خصومه ، محّملا لها كل ما يمكن من سموم »[3] .

---

(١) المصدر نفسه ٢ / ٨٥٦ .

(٢) العمدة ١ / ٢٠٩ .

(٣) تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي – د/ شوقي ضيف صـ ٢٨٨ – دار المعارف بمصر – الطبعة العشرون ٢٠٠٢ م .

٣) قضية الصدق والكذب :

عرف الشعراء قيمة الصدق في المشاعر ، فعوّلوا عليه ، وامتدحوا من تمسك به – كما تمسك به النقاد – وعابوا من تخلى عنه بالكذب والافتراء ؛ وذلك لأن الصدق يعطي الشعر بعداً آخر ، وإن كان بعض النقاد خالف ذلك ورأى الجمال في الكذب في التخيل ، فذهب بعض النقاد إلى أن أعذب الشعر أصدقه ؛ بينما رأى البعض الآخر أن أصدقه أكذبه .

وعرض النقاد لهذه القضية وبسطوها في كتبهم وآرائهم ، وممن تعرض لها بشيء من التفصيل الإمام عبد القاهر الجرجاني ، فقال : « من قال : خير الشعر أصدقه كان تركُ الإغراق والمبالغة والتجوز إلى التحقيق والتصحيح ، واعتماد ما يجري من العقل على أصل صحيح – أحب إليه وآثر عنده ، إذ كان ثمره أحلى ، وأثره أبقى ، وفائدته أظهر ، وحاصله أكثر . ومن قال : خير الشعر أكذبه ذهب إلى أن الصنعة إنما يمد باعها ، وينشر شعاعها ، ويتسع ميدانها ، وتتفرع أفنانها ؛ حيث يعتمد الاتساع والتخييل ، ويدعى الحقيقة فيما أصله التقريب و التمثيل ، وحيث يقصد التلطف والتأويل ، ويذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق ، وفي المدح والذم والوصف والبث وسائر الأغراض ، وهناك يجد الشاعر سبيلاً إلى أن يبدع ويزيد ، ويبدئ في اختراع الصور ويعيد ...... ويكون كالمغترف من غدير لا ينقطع »[1] .

سأل معاوية ليلى الأخيلية : « أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كل الناس يقول حقا ، والناس شجرة بغْي ،

---

(١) أسرار البلاغة صـ ٢٣٦ وما بعدها .

يحسدون النعم حيث كانت ، وعلى من كانت ؛ كان يا أمير المؤمنين سبط البنان ، حديد اللسان شَجَي الأقران ، كريم المخبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، وكان كما قلت ولم أتعدّ الحق فيه :

بعيد الثرى لا يبلغ القرم قعره ألدّ ملدّ يغلب الحق باطله [1].

وقال لها مرة أخرى : « أيّ ما قلتِ فيه أشعر ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلت شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجدتُ حيث أقول :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه فتى من عُقيل ساد غير مكلّفِ

فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه فلم ينفك جمّ التصرف

ينال عليات الأمور بهونةٍ إذا هي أعيتْ كل خِرق مسوّف

هو المسك بالأري الضحاكي شبته بدرياقة من خمر بيْسان قرقف [2].

ويسألها مروان بن الحكم فيقول : « ويحك يا ليلى أكما نعتّ توبة كان ؟ فتقول : أصلح الله الأمير ! والله ما قلت إلا حقاً ، ولقد قصّرتُ ، وما رأيت رجلاً كان أربط على الموت جأشاً ، ولا أقل انحياشاً حين تّحتدم براكاء الحرب ، ويحمي الوطيس بالطعن والضرب منه ، كان والله كما قلت :

---

(١) زهر الآداب ٢ / ٩٣٣ .

(٢) زهر الآداب ٢ / ٩٣٣ .

فتى لم يـزل يزداد خيراً لدُن نَشَــا   إلى أن علاه الشيبُ فـوق المسابح

تراه إذا ما المـــوت حــل بورده   ضــروباً على أقرانه بالصفــائح

شجاع لدى الهيجاء ثبْت مُشايح   إذا انحاز عن أقرانه كلّ ســابح

فعاش حميــداً لا ذميــماً فعالُه   وَصــولاً لقرباه يُرى غير كالح (١).

فالشاعرة تتمسك بأهداب الصدق ، وذلك لأنها تجد مــادة غزيــرة تستمد منها معانيها ، فقد كان توبة رجلاً مقداماً شجاعاً خلوقاً ، وكانت تحبه حباً جماً ، ولهذا انطلقت من شعورها الصادق ، فلم تقل إلا حقاً ، كما أنهــا أشادت بشعرها ووصفته – وهي محقة – بالجودة والإتقان ، فكانت أشــعر الشواعر بعد الخنساء – كما قال ابن قتيبة – وهي بمقاييس عمر – رضــي الله عنه – أشعر الشعراء ؛ لأنها لم تمدح الرجل إلا بما فيه ، وقد اعترفــت في نثرها المقدم بين يدي أشعارها .

ولأن توبة كان يتمتع بصفات جليلة كثيرة ، لم تحــتج ليلــى إلــى الإغراق في التخيل ؛ بل اكتفت برسم الصورة الحقيقية بقلب المحب وقلــم الفنان ، وشعور الصادق .

وقد يميل الشاعر بهواه مع الحاكم ، فيتغير شــعوره تبعــاً لــذلك ، والناس على دين ملوكهم ، وهنا تفتر درجة الصدق ويشك المتلقي فيهــا ،

---

(١) زهر الآداب ٢ / ٩٣٤ .

وقد يفسرها الشاعر نفسه ، قال الفرزدق يرثي الحجاج « ليرضي بذلك الوليد بن عبد الملك :

ليبكِ على الحجاج من كان باكيا على الدين من مستوحش الليل خائفِ

وأرملة لما أتاها بغيّه فجادت له بالواكفات الذوارف

وقالت لعبديها أنيخا فعجّلا فقد مات راعي ذودنا بالتنائف

فليت الأكفّ الدافنات ابنَ يوسف يقطّعن إذ يحثين فوق السفائف

فما ذرفت عينان بعد محمدٍ على مثله إلا نفوس الخلائف[1].

فالشعر بين الصنعة ، حيث لم تتفق المعاني مع سيرة المرثي ، والمبالغة واضحة جداً في مثل : البكاء على الدين بموته ، بكاء الأرملة التي كان يقوم برعايتها ، الدعاء على أكف الدافنين بالقطع ، المبالغة الممقوتة في تشبيه البكاء على الحجاج بالبكاء على رسولنا الأعظم – صلى الله عليه وسلم – .

قال ابن عياش « فلما هلك الوليد واستُخلف سليمان استعمل يزيد بن المهلب على العراق وأمره بقتل آل أبي عقيل ، فقتلهم . فأنشأ الفرزدق يقول :

لئن نفّر الحجاجَ آلُ معتّب لقوا دولةً كان العدوّ يُدالُها

(١) العقد الفريد ٥ / ٥٦ وما بعدها .

قال ابن عياش : فقلت للفرزدق : ما أدري بأي قوليك نأخذ ، أبمدحك في الحجاج حياته ، أم هجوك له بعد موته ؟ قال : إنما نكون مع أحدهم ما كان الله معه ، فإذا تخلى عنه تخلينا عنه »[1] .

فهذا هو النفاق الشعري ، وكثيراً ما يكون سياسياً ، بخلاف شعر المحبين والأصدقاء ، فإن عوامل الصدق تتوافر فيه بكثرة .

والفرزدق نفسه كان يعرف عنصر الصدق ، ويتحسر على تطابقه مع شعر جرير ، وحرمانه منه في شعر الغزل بالذات ، فقد « سمع شعراً لجرير يُغنّى فلما سمعه سأل : لمن هذا الشعر ؟ فقالوا : لجرير ، فقال : ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري ، وأحوجني مع فسوتي إلى رقة شعره ! »[2] .

وكما اعترف الفرزدق بفسوقه وصدقه فيه ، اعترف ابن أبي عتيق بصدق عمر بن أبي ربيعة في عهره ، وعاب عليه الكذب في عفّته . سمع ابن أبي عتيق وهو بالمدينة قول « عمر بن أبي ربيعة :

فما نلتُ منها محرماً غير أنّنا ... كلانا من الثوب المطرف لابس

فقال : أبنا يلعب ابن أبي ربيعة ! فأيّ محرّم بقي ! فركب بغلته متوجهاً إلى مكة ، فلقي ابن أبي ربيعة فقال : أما زعمت أنك لم تركب حراماً قط ! قال بلى ، قال : فما قولك :

---

(١) العقد الفريد ٥ / ٥٦ وما بعدها .

(٢) الكامل ٢ / ٢٦١ .

فقال عمر : خرجت المرأة بعلّة المسجد ، فصرنا إلى بعض الشعاب ، فأخذتنا السماء ، فأمرتُ بمطرفي فسترنا الغلمان به ؛ لئلا يروا (أهل المرأة) بها بلّة فيقولوا : هلا استترت بسقائف المسجد ! فقال ابن أبي عتيق: يا عاهر ! هذا البيت (بيت الشعر) يحتاج إلى حاضة (يقصد أنه كذب في عفّته ، وصدق في عهره) »[1] .

فابن عتيق لم يطق صبراً على هذا الكذب الشعوري ، فركب من فوره وسافر من المدينة لمكة ليعنّف الشاعر ، وأخبر في صدر حديثه أن الشاعر يلعب بعقول متلقيه ، وما ذلك إلا حرصاً على مبدأ الصدق حتى في أسوأ الأحوال الأدبية .

وقد يجد الشاعر مندوحة لكذبه في تخيّله ، وهو قوة الممدوح وعظيم فعاله ، فيتخذ أسلوب المبالغة في الوصف لتتفق وبسط الصفات التي يراها الشاعر فوق صفات البشر .

قالت « امرأة عمران السدوسي له : أما حلفْت أنك لا تكذب في شعر ؟ فقال لها : أوَ كان ذاك ؟ قالت : نعم ، قلت :

فكذاك «مجزأة» بنُ ثو ... ر كان أشجع من أسامه

أيكون رجل أشجع من أسد ؟ فقال لها : ما رأيت أسداً فتح مدينة قط ، ومجزأة بن ثور فتح مدينة »[2] .

---

(1) الكامل ٢ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(2) المصدر نفسه ٢ / ٢٠٧ .

وكان « مجزأة » من أبطال المسلمين ، فاستحق أن يكون أشجع من الأسد ؛ لفتحه المدينة ، ومع هذا فلم ترض زوجة الشاعر بتلك المبالغة إمعاناً في طلب الصدق في كل قول .

٤) قضية السرقات الشعرية :

تلك قضية مشهورة ، أفاض فيها النقاد في كتبهم ، فأفردوا لها فصولاً وأبواباً ، وأكثروا من ضرب الأمثلة لها في كل عصر ومصر ، حتى قال عنها ابن رشيق : « وهذا باب متسع جداً ، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه ، وفيه أشياء غامضة ، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة ، وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل ، وقد أتى الحاتمي في « حلية المحاضرة » بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت : كالاصطراف ، و الاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ، والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق ، وكلها قريب من قريب ، وقد استعمل بعضها في مكان بعض »[1] .

وذكر ابن رشيق رأي الجرجاني ، ووصفه بأنه أصح مذهباً ، وأكثر تحقيقاً ، فقال : « قال الجرجاني : ولست تعد من جهابذة الكلام ، ولا من نقاد الشعر ، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علماً برتبه ومنازله، فتفصل بين السّرق والغصب وبين الإغارة والاختلاس ، وتعرف الإلمام من الملاحظة ، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه

(١) العمدة ٢ / ٢٨٠ .

والمبتذل الذي ليس واحد أحق به من الآخر ، وبين المختص الـذي حـازه المبتدي ، فملكه واجتباه السابق فاقتطعه »[1] .

وحدد النقاد أصول السرقة ، وفرقوا بينها وبين غيرها كالإغـارة ، والغصب ، وقال أبو الضياء : « وإنما المسروق في الشعر ما نُقل معنـاه دون لفظه ، وأبعد آخذُه في أخذه . ومن الناس من يبعد ذهنه إلا عن مثـل امرئ القيس وطرفة حين لم يختلفا إلا في القافية ، فقال أحدهما:« وتجمل » وقال الآخر : « وتجلد » . ففي الناس طبقة أخرى يحتاجون إلى دليل مـن اللفظ مع المعنى ، وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة اللفظ الظاهر ، وهم قليل »[2] .

فالسرقة إنما تكون في « البديع المخترع الذي يختص به الشـاعر ، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هـي جاريـة فـي عـاداتهم ، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع به الظنة عن الذي يورد أن يقال : إنه أخذه من غيره »[3] .

ويختلف التوليد عن السرقة ، إذ التوليد « أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه ، أو يزيد فيه زيادة ؛ فلذلك يسمى التوليد ، ولـيس باختراع ؛ لما فيه من الاقتداء بغيره ، ولا يقال له أيضاً « سرقة » إذا كان ليس آخذاً على وجهه »[4] .

---

(١) العمدة ٢ / ٢٨٠ .

(٢) الموازنة ١ / ٣٤٥ .

(٣) الموازنة ١ / ٣٤٦ .

(٤) العمدة ١ / ٢٦٣ .

وعرف الشعراء في هذا العصر ، بعض المصطلحات ، كالسرقة ، وغيرها ، فقال الأخطل : « نحن معشر الشعراء أسرق من الصاغة »[1] .

ودخل النابغة الجعدي على « الحسن بن علي فودعه ، فقال له الحسن : أنشدنا من بعض شعرك . فأنشده :

الحمد لله لا شريك له		من لم يقلها فنفسه ظلما

فقال له : يا أبا ليلى ! ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي الصلت ؟ قال : يا بن رسول الله ، والله إني لأول الناس قالها ، وإن السروق من سرق أمية شعره »[2] .

فالنابغة عرف شعره وتمسك به ، وفضح أمية الآخذ ، ولم يمنع الشاعر الاعتراف بحقه حتى مع شهرة البيت لأمية .

وللنابغة أشياء جيدة سبق بها وأخذها غيره ، فمنها قوله في صفة الفرس :

كأن مقط شرا سيفه		إلى طرف القنب فالمنقب

لُطمن بترس شديد الصقا		لِ من خشب الجوز لم يثقب

أخذه ابن مقبل فقال :

كأن ما بين جنبه ومنقبه		من جوزه ومناط القنب ، ملطوم

---

(1) الموشح ٤٢١ .

(2) طبقات فحول الشعراء ١ / ١٢٧ ، ١٢٨ . قال المحقق : السروق : الخبيث السرقة، مبالغة في السارق .

بترس أعجم ، لم تنخر مناقبه ... مما تخير في آطامها الروم

وله غير ذلك [1] .

وربما تواردت الخواطر بين الشعراء – خصوصاً أصحاب الفن الواحد والهوى الواحد – فلا تعد سرقة ؛ لأن الشاعر لم يطلع على قول غيره ، ولم يسمع به قبل ذلك .

حدث أن « وصف ابن أبي عتيق لعمر بن أبي ربيعة امرأة من قومه ، وذكر جمالاً رائعاً ، وعقلاً فائقاً ، فرآها عمر فشبب بها ؛ فغضب ابن أبي عتيق وقال : تشبب بامرأة من قومي ؟ فقال عمر :

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي ... إنّ بي يا عتيق ما قد كفاني

إن بي مضمراً من الحبّ قد أبـ ... ـلى عظامي مكنونه وبراني

* لا تلمني وأنت زينتها لي *

فقال ابن أبي عتيق (مكملا البيت علي الفور) :

* أنت مثل الشيطان للإنسان *

فقال عمر : هكذا ورب الكعبة قلت .

فقال ابن أبي عتيق : إن شيطانك ورب القبر ربما ألم بي) [2].

---

(١) انظر : الشعر والشعراء ١ / ٢٩١ .

(٢) زهر الآداب ٢٤٨/١ .

فتوارد الخواطر ظاهر في اتفاق قول الشاعرين في تكملة البيت الشعري ، ووصف الحادثة ، وهذا لا يعد سرقة . وفي الموقف اعتراف آخر بشيطان الشعر الذي كان شعراء الجاهلية يعتقدون فيه .

وهناك ما يعرف بالإغارة ، وهو غير السرقة ، إذ الإغارة أن « يصنع الشاعر بيتا ويخترع معني مليحا فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا ، فيروي له دون قائله »[1] .

وعرف الفرزدق بالإغارة علي شعر الشعراء الذين هم دونه مجداً وشهرة ، فقد « سمع الفرزدق جميلا ينشد :

تري الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلي الناس وقفوا

فقال : متي كان الملك في بني عذرة ؟ إنما هو في مضر وأنا شاعرها ، فغلب الفرزدق علي البيت ، ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره . وقد زعم بعض الرواة أنه قال له : تجاف لي عنه . فتجافي جميل عنه ، والأول أصح ؛ فما كان هكذا فهو إغارة ، وقوم يرون أن الإغارة أخذ اللفظ بأسره والمعني بأسره ، والسرق أخذ بعض اللفظ أو بعض المعني، كان ذلك لمعاصر أو قديم »[2] .

وأشد من الإغارة ، الغصب ، وهو أخذ الشعر عنوة مع التهديد لقائله حتى يدعه ، ويعترف به للغاصب ، ولا يرويه في شعره أبدا .

---

(١) العمدة ٢/٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٢) العمدة ٢/٢٨٤ ، ٢٨٥ .

وممن عرف من الشعراء بالغصب ، الفرزدق – وكأنه يستخدم حسبه وبذاءة هجائه في هذا –

روي أن « الشمردل اليربوعى أنشد في محفل :

فما بين من لم يعط سمعا وطاعة ... وبين تميم غير حز الحلاقم

فقال الفرزدق : والله لتدعنه أو لتدعن عرضك ، فقال : خذه لا بارك الله لك فيه »[١] .

فأخذه الفرزدق بالقوة أمام الناس ، وهدد الشاعر بالهجاء الموجع ، والقذف بالأعراض ، فتركه الشمردل غير راض بذلك .

وهدد ذا الرمة مرة أخري ، فغصب منه شعرا جيدا ، قال ذو الرمة : « بحضرة الفرزدق : لقد قلت أبياتا ، إن لها لعروضا ، وإن لها لمراداً ومعنى بعيدا ، قال الفرزدق : وما قلت ؟ فقال : قلت :

أحين أعاذت بنو تميم نساءها ... وجردت تجريد اليماني من الغمد

ومدت بضبعي الرباب ومالك ... وعمرو وسالت من ورائي بنو سعد

ومن آل يربوع زهاء كأنه ... دجي الليل محمودي النكاية والرفد

فقال له الفرزدق : إياك وإياها لا تعودن إليها ، وأنا أحق بها منك ، قال: والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبدا إلا لك »[٢] .

---

(١) العمدة ٢/٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٢) العمدة ٢/٢٨٤ ، ٢٨٥ .

فالفرزدق كان يعتمد علي قوة هجائه وفحشه في القول في تهديده الشعراء ، وغصب المعاني البديعة منهم ؛ غير أنه لم يستطع الغصب إلا من ضعاف الشعراء في فن الهجاء ، إذ لم يصنع هذا مع شعراء الهجـــاء كجرير والأخطل مثلا .

وعرف النقد فنا آخر من فنون تناطح الشعراء ، وهو المرافـــدة ، والمرافدة « أن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له........والشـــاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر مـــن ذلـــك ، إذا كانـــت شـــبيهة بطريقته ، ولا يعد ذلك عيبا ؛ لأنه يقدر علي عمل مثلها ، ولا يجوز ذلك إلا للحاذق المبرز »[1] .

ولشهرة جرير وقوته في الهجاء ، وخوف الشعراء منـــه ، رافـــد بعض الشعراء الكبار في الهجاء ، وأعانهم علي خصومهم حتي فـــازوا وظفروا بهم ، قال جرير لذي الرمة : « أنشدني ما قلت لهشام المرئي ، فأنشده قصيدته :

نبت عيناك عن طلل بحزوى ... محته الريح وامتنع القطارا

فقال : ألا أعينك ؟ قال : بلي بأبي وأمي ، قال : قل له :

يعد الناسبون إلى تميم ... بيـــوت المجد أربعة كبارا

يعدون الرباب وآل سعد ... وعمـــرا ثم حنظلة الخيارا

ويهلك بينها المرئي لغـــوا ... كما ألغيت في الدية الحوارا

---

(١) العمدة ٢/٢٨٦ ، ٢٨٧

فلقيه الفرزدق فاستنشده ، فلما بلغ هذه قال : جيد ، أعده ، فأعاده ، فقال: كلا والله ، لقد علكهن من هو أشد لحيين منك ، هذا شعر ابن المراغة » [١] .

عرف الفرزدق بخبرته هذا الشعر ، ونسبه لجرير ، ووصفه بالقوة ، وسكت ذو الرمة ولم يعلق ؛ لصحة الخبر ، ولضعفه في جانب الهجاء .

وكأن جريرا أراد أن يكفر عن ذنبه تجاه هشام المرئي ، فأعانه علي ذي الرمة ؛ لتكون واحدة بواحدة .

استرفد هشام المرئي جريرا « علي ذي الرمة فقال في أبيات :

يماشي عديا لؤمها ما تجنه ... من الناس ما ماشت عديا ظلالها

فقل لعدي تستعن بنسائها ... علي فقد أعيا عديا رجالها

إذا الرم، قد قلدت قومك رمة ... بطيئا بأيدي العاقدين انحلالها

فقال ذو الرمة لما سمعها : يا ويلتا . هذا والله شعر حنظلي ، وغلب هشام علي ذي الرمة بعد أن كان ذو الرمة مستعليًّا عليه »[٢] .

---

(١) العمدة ٢/ ٢٨٦ .

(٢) العمدة ٢/ ٢٨٦ .

وأبيات جرير التي أعان بها هشاما أقوي وأنكي فيها الهجاء ؛ لأنه وسم القبيلة (عدي) بأخس الصفات وألأمها ، وجرد رجالها من الشرف والمروءة ، كما أنه وسم ذا الرمة بميسم العار الذي لا ينمحي ، لكل هذا غلب هشام واستعلي علي ذي الرمة ، وقال يونس بن حبيب : « إذا قالوا غلب الشاعر فهو الغالب ، وإذا قالوا : مغلب فهو المغلوب » (١) .

وبعد / فقد عرك الشعراء فن النقد ، وعرفوا منه الكثير ، وحكموا بكثير من قواعده علي أشعارهم وأشعار أهليهم ، وكانوا في معظم الأحكام صادقين فيما يقولون ؛ لأنهم لم يصدروا الأحكام عن هوي ، أو تحت تأثير شعوري متردد ؛ وإنما صدرت أحكامهم عن اقتناع ووعي للشعر والشاعرية ، فكانت نبراسا يضيء الطريق للمهتدي نحو دروب البلاغة والشعر الجميل .

وعلي هذا فإن تلك الأحكام – فضلا عن تصوير العصور – تعد قواعد صحيحة للنقد الأصولي المنهجي والذوقي للناقد البصير ، والشاعر الصادق المخلص لفنه الحاذق في مهنته ، العالم بجماليات أشعاره ، والعارف بمواطن الضعف فيها .

والحمد لله أولا وآخرا

---

(١) البيان والتبيين ٢/١٥٦ .

المصادر والمراجع

١- أخبار أبي تمام – تأليف أبي بكر محمد بن يحيي الصـــولي – حققه وعلق عليه : خليل محمود عساكر ، محمد عبده عـــزام ، نظير الإسلام الهندي – قدم له : أحمد أمين – المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت (ب– ت) .
٢- أخبار البحتري – تأليف أبي بكر محمد بن يحيي الصـــولي – تحقيق / صالح الأشتر – مطبوعات المجمع العلمـــي بدمشـــق ١٩٥٨.
٣- أسرار البلاغة – للإمام عبد القـــاهر الجرجـــاني – تحقيـــق / محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة – الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .
٤- أصول النقد الأدبي – أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصـــرية الطبعة الثامنة ١٩٧٣ م .
٥- الإعجاز والإيجاز – تأليف أبي منصور الثعـــالبي – تخـــريج وحواشي : د/ محمد التونجي – دار النفـــائس بيـــروت لبنـــان الطبعة الأولي ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .
٦- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني / دار الشعب بالقاهرة .
٧- الأمالي – تأليف أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي – مراجعة : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة – دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الثانيـــة ١٤٠٧هـــ = ١٩٨٧ م .

٨- البيان والتبيين – تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق وشرح : حسن السندوبي – دار إحياء العلوم – بيروت لبنان – الطبعة الأولي ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م .
٩- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) د. شوقي ضيف – دار المعارف بمصر – الطبعة العشرون ٢٠٠٢ م .
١٠- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري – الأستاذ / طه أحمد إبراهيم –دار الكتب العلمية بيروت لبنان – الطبعة الأولي ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.
١١- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة – د/ محمد زغلول سلام – منشأة المعارف – الإسكندرية ١٩٨٢ م .
١٢- دراسات في النقد الأدبي – د/ حسن جاد حسن ١٩٧٧ م.
١٣- دراسات في النقد الأدبي – د/ كامل السوافيري – مكتبة الوعي العربي .
١٤- دراسات في النقد الأدبي والبلاغة – د/ عبده عبد العزيز قلقيله – دار العلوم – الرياض – الطبعة الأولي ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .
١٥- الذوق الأدبي – د/ عبد الفتاح علي عفيفي – مطبعة الأمانة شبرا مصر – الطبعة الأولي ١٩٨٧ م .
١٦- رحلة مع النقد الأدبي – د/ فخري الخضراوي – دار الفكر العربي ١٩٨٠ م .

١٧- زهر الآداب وثمر الألباب – تأليف أبي إسحاق الحصـــري – تحقيق : علي محمد البجاوي – دار إحياء الكتب المصـــرية – القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .

١٨-شرح المعلقات السبع ، للزوزنـــي – دار صـــادر – بيـــروت ٢٠٠٢م .

١٩-الشعراء نقادا – د / عبد الجبار المطلبي – دار الشئون الثقافية العامة – بغداد – الطبعة الأولى ١٩٨٦ م .

٢٠-الشعر والشعراء ، لابن قتيبة – تحقيق : أحمد محمد شـــاكر – دار الحديث بالقاهرة – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

٢١-الصناعتين ، لأبي هلال العسكري – تحقيـــق : علـــي محمـــد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبـــة العصـــرية – صيدا بيروت ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

٢٢-طبقات الشعراء ، لابن المعتز – تحقيق : عبد الســـتار أحمـــد فراج – دار المعارف بمصر – الطبعة الرابعة ١٩٥٦م .

٢٣-طبقات فحول الشعراء ، تأليف محمد بن سلام الجمحي – قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر – الناشـــر : دار الإمـــام علـــي للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٩٢ م .

٢٤-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – تأليف أبي علي الحسن ابن رشيق القيراوني – تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الجيل للنشر والتوزيع – بيروت لبنان (ب . ت) .

٢٥-العقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي
– الجزء الأول : الثالث – تحقيق : د / أحمد يسري العزباوي
– دار الإمام علي للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٩٢ م .
٢٦-العقد الفريد الجزء الخامس – تحقيق وشرح : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الإبياري – لجنة التأليف والترجمة والنشر – مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٣ م .
٢٧-في قضايا النقد الأدبي عند العرب – د / عبد الحميد جيده – دار الشمال للطباعة والنشر – طرابلس لبنان ١٩٨٥ م .
٢٨-الكامل ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي بالقاهرة (ب . ت) .
٢٩- الكامل ، للمبرد – تحقيق : د / محمد الدالي – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة – ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م.
٣٠- لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور – دار المعارف بمصر (ب . ت) .
٣١- مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي – المكتبة العصرية – صيدا بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .
٣٢-مشكلة السرقات في النقد العربي – د/ محمد مصطفى هدارة – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

٣٣- معالم النقد الأدبي – د / عبد الرحمن عثمان – مطبعة المدني ١٩٦٧ م .

٣٤-المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع – استانبول تركيا(ب.ت).

٣٥-مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي – د / مصطفى عليان – دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة السعودية – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٣٦-ملامح النقد العربي القديم – د / عبد الرحمن عبد الحميد علي – الجزء الأول – مطبعة الأمانة – شبرا مصر – الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩ م .

٣٧-من قضايا النقد الأدبي في القديم والحديث – د / محمد عبد المنعم العربي – مطبعة الأمانة – شبرا مصر – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م .

٣٨-الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، لأبي قاسم الحسن بن بشر الآمدي – الجزء الأول – تحقيق : السيد محمد صقر – دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .

٣٩-الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تأليف أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني – تحقيق : محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

٤٠-نصوص من النقد العربي - د / محمود الربيعي - دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م .
٤١-النقد الأدبي - د / سعد ظلام - مطبعة الأمانة - شبرا مصر (ب. ت) .
٤٢-النقد الأدبي أصوله ومناهجه - سيد قطب - دار الشروق ١٩٨٥ م
٤٣-النقد الأدبي في أطوار تكوينه عند العرب - د / محروس منشاوي - دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ م .
٤٤-النقد المنهجي عند العرب - د / محمد مندور - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة (ب . ت) .

فهرست الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
مقدمة	١
الفصل الأول : في النقد والنقاد	٣
المبحث الأول : تاريخ النقد ومجالاته	
المبحث الثاني : امتداد الشعر في بيوت الشعراء	٢٣
الفصل الثاني : لمحات الشعراء النقدية في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام .	٤٣
تمهيد	٤٤
١- الاعتراف بالشاعرية والإشادة بها	٤٧
٢- العيوب العروضية	٥٦
٣- تقصير القصائد	٦١
٤- بواعث الشعر	٦٣
٥- النقد الأخلاقي	٦٩
الفصل الثالث : أحكام الشعراء في العصر الأموي	٨١
المبحث الأول : الأحكام المكررة	٨٢
١- الاعتراف بالشاعرية والإشادة بها	٨٣
٢- العيوب العروضية	٩٠
٣- تقصير القصائد	٩٤
٤- بواعث الشعر	٩٦

٥- النقد الأخلاقي	١٠١
المبحث الثاني : الأحكام التي جدت في العصر الأموي	١٠٩
١- فنون الشعر	١٠٩
٢- النقد الفني	١١٧
٣- قضية الصدق والكذب	١٣٠
٤- قضية السرقات الشعرية	١٣٦
المصادر والمراجع	١٤٥
فهرست الموضوعات	١٥٢

رقم الإيداع

١٣١٥٦/ ٢٠٠٦م

